الصوفية والتصوف
في ضوء الكتاب والسنة

" يتضمن آراء العلماء المتقدمين والمعاصرين
عن
التصوف ونشأته ورجاله ومعتقداته "

يوسف السيد هاشم الرفاعي

(الكويت)
الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

3305

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

Marfat.com

Marfat.com

3305

نشـــأة التصـــوف
وتعـريـف الصـوفـي

Marfat.com

تعريف الصوفية

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه
ولا بكاءك إن غنى المغنونا
إن التصوف أن تصفو بلا كدر
وتحفظ العلم والأخلاق والدينا

٨٦٩٥٢

* * * * *

اشتقاق اسم الصوفي

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا
فيه وظنوه مشتقاً من الصوف
ولست أنحل هذا الاسم غير فتى
صافي فصوفي حتى سُمي الصوفي

* * * * *

وقال (المؤلف) غفر الله تعالى له :-

ليس التصوف ثوباً أنت لابسه
تزهو به بين أصناف الدواوين
بل التصوف إيمان ومعرفة
وخدمة لفقير أو لمسكين
وهو التهجد في الليل البهيم إذا
نام الأنام ليوم الحشر والدين
وهو الجهاد جهاد النفس عن سفه
وشهوة وألاعيب الشياطين

Marfat.com

3305

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي ونسلم على رسوله الكريم
صلى اللـــه تعالى عليه وآله وصحبه وسلم

وبعد : فلقب (الصوفية) إذا أطلق اليوم فإنما يراد به جمهور الناس من المسلمين الذين يقلدون أحد أئمة المذاهب الأربعة (الشافعي ومالك وابن حنبل وأبو حنيفه) رضوان الله تعالى عليهم أجمعين في الفروع ، وعقيدتهم عقيدة السلف الصالح ومنهم من يعتنق مذهب الإمام أبي الحسن الأشعري ، وهي عقيدة عامة أهل السنة والجماعة في العالم الإسلامي الفسيح ، والتي تُدرس في (الأزهر الشريف) وغيره من المعاهد الدينية في شتى أصقاع العالم الإسلامي ما عدا المملكة العربية السعودية ومعاهدها الرسمية الواقعة تحت إشراف المشايخ المقلدين للشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباع دعوته المسماة " بالدعوة السلفية " .

كما يطلق هذا اللقب (الصوفية) اليوم على من يحتفل بذكرى المولد النبوي الشريف وبالإسراء والمعراج وبهما تحتفل الدول الاسلامية رسمياً في (عطلة رسمية) كما أن هؤلاء هم المستمرون على ما كان عليه سلفهم الصالح في العالم الإسلامي من زيارة (القبر النبوي الشريف) في المدينة المنورة قبل أو بعد أداء فريضة الحج أو العمرة الشريفة ، وختم القرآن في اليوم الثالث على موتاهم واستعمال السبحة في ذكر الله تعالى وتلقين الميت وزيارة المقابر في الأعياد والجمع للاعتبار وإهداء ثواب القرآن الكريم لأقاربهم وأرحامهم من

Marfat.com

المعوني ومن جمهورهم من المسلمين مما عليه العمل في غالب بلاد المسلمين ... وهكذا يتبين أن من ينتسبون إلى (الصوفية) ما هم إلا السواد الأعظم والأكثرية الصامتة من المسلمين المتمسكين بالعادات والأعراف الدينية التي ورثوها عن أجدادهم وأسلافهم مما لا يتعارض مع ما أجمع عليه علماء الأمة وفقهاؤها من كتاب الله تعالى وسنة المصطفى ﷺ وآله ، وقد قال النبي ﷺ وآله (عليكم بالسواد الأعظم) رواه صاحب (مشكاة المصابيح). هذا وقد استعنت الله تعالى في تأليف هذا الكتاب عن التصوف والصوفية لما رأيت التصوف يتعرض لهجمة شرسة ظالمة وخاصة هذه الأيام ، وذلك توضيحاً للحق ودفاعاً عن أعراض أولياء الله الصالحين ودرءاً لبلادنا عن غضب الله تعالى الذي يحل في الحديث القدسي الصحيح : « من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب » رواه البخاري وغيره .

والله سبحانه وتعالى أسأل السداد والتوفيق في جهدي هذا وأن يرينا جميعاً الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ، والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه . وصلى الله تبارك وتعالى على سيدنا محمد وآله وصحبه والحمد لله رب العالمين .

وكتبه راجي عفو مولاه الكريم

يوسف السيد هاشم الرفاعي

(الحسيني)

الكويت شوال سنة ١٤١٩هـ
فبراير ١٩٩٩م

المنصورية - الكويت
ص.ب / ٦٥٢٣٠ - ر.ب / ٣٥٥٠١
ت : ٢٥١٨٢٢٢
فاكس: ٠٠٩٧٥/٢٥١٤٢٢٢

Marfat.com

لمحة عامة عن التصوف :-

إن من يلقي نظرة عابرة خلال القرون الغابرة التي مضت ويرى ماخلفه السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم وحشرنا في زمرتهم من تآليف في كل فن من فنون العلم، وفي كل جهة من جهات الفن والحضارة التي أشعت النور على العالم بعد أن كان يربض تحت تأثير الجهل والفوضى لَيَعْترف بأن للإسلام الفضل الأول في مبعث هذه الحضارة وتثبيت دعائمهَا، وأن الصدر الأول من الصحابة رضوان الله عليهم هم الذين حملوا العبء الأكبر في نشر هذه الشريعة السمحة وبث أسرارها في هذا الكون وتحويله من طبيعة جرداء إلى نور أبلج يضيء لكل سالك في هذا الطريق. وكان للصوفية الحظ الأوفر في بعث هذا العمل المشرف. فكانت المدرسة النبوية التي أخرجت أمثال: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ، ثم كانت مدرسة الصحابة التي أنجبت أمثال: سعيد بن المسيب والحسن البصري وطاوس اليماني وإبراهيم التيمي وسادة غيرهم لا يحصون فضلاً وعلماً وعملاً، وهم الذين كان لهم الفضل الأكبر في تثبيت دعائم هذه الشريعة وبهم كان تأثر الأئمة الكبار أمثال: أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم رضي الله عنهم. فأبو حنيفة كان تأثره الأكبر بشيخه الزاهد المشهور عطاء بن أبي رباح وأمثاله وكان يقول: ما لقيت أفضل من عطاء. قال الشعراني في الأجوبة المرضية[1] عن شيخه شيخ الإسلام زكريا الأنصاري أنه قال: يكفينا في شرف طريق القوم قول موسى للخضر عليهما الصلاة والسلام: ﴿ **هل أتبعك**

---

(١) ص ٨٧ مخطـــوط .

Marfat.com

على أن تعلمن مما علمت رشدا ﴾ فإن موسى طلب طريق الإرشاد من الخضر مع سعة علم موسى ومع كونه نبياً مرسلاً قال ذلك وكذلك يكفينا في شرفها أن الإمام أحمد بن حنبل كان إذا توقف في مسألة يسأل عنها الشيخ أبا حمزة البغدادي ويقول له : ما تقول في هذه المسألة يا صوفي؟ فإذا حل أبو حمزة إشكال تلك المسألة تعجب أحمد من ذلك. وكان رضي الله عنه يقول لولده عبد الله: يا ولدي عليك بالحديث وإياك ومجالسة هؤلاء الذين سموا نفوسهم صوفية فإنهم ربما كان أحدهم جاهلاً بأحكام دينه . فلما صحب أبا حمزة البغدادي وعرف أحوال القوم كان يقول لولده: «ياولدي عليك بمجالسة هؤلاء القوم فإنهم زادوا علينا بكثرة العلم والمراقبة والخشية والزهد وعلو الهمة» وبلغنا أن الإمام أبا عمرو الأوزاعي طلب الصحبة لإبراهيم بن أدهم فلم يجبه إلى ذلك وقال له: يا عبد الرحمن لا يطير الطير إلا مع شكله فرجع الأوزاعي عن طلب الصحبة لعلمه بعلو مراقي الصوفية وهذا من الأوزاعي أعظم دليل على شرف الطريق وأهلها . وبلغنا أن الإمام الشافعي رضي الله تعالي عنه كان يجالس الصوفية كثيراً ويقول: يحتاج الفقيه إلى معرفة اصطلاح الصوفية ليفيدوه من العلم ما لم يكن عنده . وقيل له مرة: ما الذي استفدته من مجالسة الصوفية؟ فقال: استفدت منهم شيئين قولهم: الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك وقولهم : إن لم تشغل نفسك بالخير شغلتك بالشر ، وسمعت شيخنا شيخ الإسلام زكريا يقول: يكفينا دليلاً على شرف الطريق إذعان الأئمة لأهلها في كل زمان وسؤالهم الدعاء منهم في الشدائد دون العكس انتهى . فهذا شيء قليل

Marfat.com

من شرف الصوفية وفضلهم . أما أوصافهم فهذه نبذة يسيرة على لسان أحد أئمتهم : قال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد [1] بسنده عن محمد بن شاذان الرازي قال : " سمعت يوسف بن الحسين يقول : حضرت مع ذي النون مجلس المتوكل، وكان المتوكل مولعاً به يفضله على العباد والزهاد "، فقال له المتوكل: "يا أبا الفيض صف لنا أولياء الله "؟ فقال ذو النون: "يا أمير المؤمنين هؤلاء قوم ألبسهم الله النور الساطع من محبته، وجللهم بالبهاء من أردية كرامته ، ووضع على مفارقهم ذخائر الغيوب ، فهي معلقة بمواصلة المحبوب فقلوبهم إليه سائرة وأعينهم إلى عظيم جلاله ناظرة ، ثم أجلسهم بعد أن أحسن إليهم على كراسي طلب المعرفة بالدواء، وعرفهم منابت الأدواء، وجعل تلاميذهم أهل الورع والتقى وضمن لهم الإجابة عند الدعاء، وقال يا أوليائي إن أتاكم عليل من فَرقي [2] فداووه، أو مريض من إرادتي فعالجوه ، أو مجروح بتركي إياه فلاطفوه، أو فار مني فرغبوه، أو آبق مني فادعوه، أو خائف مني فأمنوه أو راغب في مواصلتي فمكّنوه أو قاصد نحوي فأدوه، أو جبان في متاجرتي فجرئوه ، أو آيس من فضلي فَعدُوه، أو راج لإحساني فبشروه، أو مستشرف نحوي فأرشدوه، أو مسيء بعد إحساني فعاتبوه، أو ناس لإحساني فذكروه، وإن استغاث بكم ملهوف فأعينوه ، ومن وصلكم فيّ فواصلوه، فإن غاب عنكم فافتقدوه، وإن ألزمكم جناية فاحتملوه، وأن قصر في واجب حق فاتركوه، وان أخطأ خطيئة فانصحوه، وإن مرض فعودوه، وإن وهبت لكم هبة فشاطروه ، وإن رزقتكم فآثروه، يا أوليائي لكم

---

(١) ج ٨ ص ٣٩٤ ـ تاريخ بغداد .

(٢) خوفي .

Marfat.com

عاتبت، ولكم خاطبت، وإياكم رغبت، ومنكم ألوفاً طلبت ، لأنكم بالأثرة آثرت وانتخبت، وإياكم استخدمت واصطَنعت واختصصت، لا أريد استخدام الجبارين ، ولا مطاوعة الشرهين، جزائي لكم أفضلُ الجزاء، وعطائي لكم أوفرُ العطاء، وبذلي لكم أغلى البذل، وفضلي عليكم أكبرُ الفضل ومعاملتي لكم أوفى معاملة، ومطالبتي لكم أشدُّ المطالبة . أنا مفتش القلوب. أنا علام الغيوب. أنا ملاحظ اللحْظ ، أنا مراصد الهم، أنا مشرف على الخواطر، أنا العالم بأطراف الجفون، لا يفزعكم صوت جبار دوني ولا مُسلَّط سواي، فمن أرادكم قصمته، ومن آذاكم آذيته، ومن عاداكم عاديته ومن والاكم واليته ، ومن أحسن إليكم أرضيته ، أنتم أوليائي وأنتم أحبائي. أنتم لي وأنا لكم ». ويعقب الشيخ الأكبر رضي الله عنه في (روح القدس) بعد أنْ أورد بعض هذا الكلام النفيس بقوله: فهذه أحوال العارفين يا ولي، وهكذا تكون عمارة القلوب، وأما أهل زمانك فوالله لو اطلعت عليهم لرأيت إن نظرت إلى وجوههم عيوناً جامدة، أو متحَركة غير هامدة وإن نظرت إلى نفوسهم رأيت نفوساً سامدة، وإن نظرت إلى قلوبهم رأيت قلوباً لاهية من العمارة العلوية القدسية خالية، على عروشها خاوية، آجاماً لأسود ضارية، ومرابض لذئاب عاوية ، نسأل الله تعالى عند رؤيتهم العافية. أين هم يا ولي من قوم وصفهم أبو الفيض حيث قال: ان لله لصفوة من خلقه، وإن لله لخيرة. قيل يا أبا الفيض ما علامتهم قال: إذا خلع العبد الراحة، وأعطى المجهود في الطاعة ، وأحب سقوط المنزلة ثم قال :

منع القرآن بوعده ووعيده ... مقل العيون بليلها أن يهجعوا
فهموا عن الملك الكريم كلامه ... فهما تذل له الرقاب وتخضع

Marfat.com

فقال له بعض من كان في مجلسه ؟ من هؤلاء القوم يا أبا الفيض رحمك الله؟ قال : ويحك هؤلاء قوم جعلوا الركب لجباههم وسادا ، والتراب لجنوبهم مهادا ، هؤلاء قوم خالط القرآن لحومهم ودماءهم فشغلهم عن الأزواج، وحركهم بالإدلاج ، فوضعوه على أفئدتهم فأسرجت ، وضموه إلى صدورهم فانشرحت ، وتصدعت هممهم به فكدحت فجعلوه لظلمتهم سراجاً، ولسبيلهم منهاجاً ، ولحجتهم إفلاجا ، يفرح الناس وهم يحزنون وينام الناس ويسهرون ويفطر الناس ويصومون ، ويأمن الناس ويخافون . فهم خائفون حذرون وجلون مشفقون ، مشمرون يبادرون من الفوت ويستعدون للموت إلى آخر القصة رضي الله عنهم ورزقنا حبهم واتباعهم . فهذه هي بعض أوصاف القوم رضي الله عنهم .

قلت : " وهل هذه الأوصاف إلا كما جاء وصفهم في كتاب الله العزيز: ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً** ﴾

سورة الفرقان / ٦٣ ، ٦٤ .

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

(نشأة التصوف)

إن اسم التصوف قد استحدث في القرن الثاني ، ومسماه ومعناه هو الذي كان عليه النبي ﷺ وآله وأصاحبه في القرن الأول ، فكانت بواطن أصحاب النبي ﷺ وآله على المعارف الذوقية الشهودية سواء منهم المتسبب للأرزاق أو المتجرد للعبادة من أهل الصُّفَّة ، فأقر النبي ﷺ وآله أهل الصُّفَّة على تجريدهم لما رأى منهم القوة عليه وانتفاعهم به ، وأقر المتسببين على أسبابهم لما رأي منهم التشوف للأسباب وانتفاعهم بها (ومراد الله من الجميع ما هم عليه . وأن ليس في الإمكان أبدع مما كان) . وكلاهما على الجادة وعلى التوحيد الخالص والدين الخالص والنية الخالصة لله في تجريدهم أو أسبابهم، وهذا هو العلم الرباني والكمال العقلي للنبي ﷺ وآله حيث كان يخاطب الناس على قدر عقولهم ويوجههم للعمل الصالح المصلح لهم لكمالهم أو ترقيتهم ومزيد صفائهم .

والتصوف الإسلامي هو الدين الخالص والنية الخالصة لله التي قامت على مبدأ تحقيق العبودية وتعظيم الربوبية ، وتحقيق عمارة البواطن بالمعارف والأسرار والرضا والتوكل والإخلاص ، وعمارة الظواهر بالعبادة والورع والتقوى ومتابعة النبي ﷺ وآله في أقواله وأفعاله وأحواله. وهذا ما كان عليه النبي ﷺ وآله وأصحابه من التحقق بالدين ظاهراً وباطناً، ورسوخاً في مراتب الدين الثلاث (الإسلام والإيمان والإحسان) الواردة في الحديث الصحيح الذي

Marfat.com

يرويه عمر بن الخطاب [1] وليس المراد من المسلم الموحد أن يعبد الله على حرف ، والحرف على التفسير الأول هو العلة وعلى التفسير الثاني الذي نحن بصدده هو الطرف والجانب أي أن تعبد الله على واحد وهو الظاهر فقط أو الباطن فقط وهذا خروج عن جادة التوحيد الخالص [2] إذ من كان باطنياً فقط كان زنديقاً شيطاناً لرفضه الشريعة والحكمة ومن كان ظاهرياً فقط كان فاسقاً لخلو عبادته من الصدق والإخلاص. قال تعالى ﴿ **وذروا ظاهر الإثم وباطنه** ﴾، أي اتركوا كل إثم بما فيه من الشرك الجلي والخفي. وصدق الله العظيم ﴿**وقليل من عبادي الشكور** ﴾، وإن منكم مَنْ يعبدون الله بتقوى شاملة بعيداً عن ظاهر الإثم وباطنه مَع ترك الشرك جليه وخفيه حريصين على المتابعة المحمدية بحواسهم الحسية وطاقاتهم المعنوية فهؤلاء هم الصوفية الذين لهم قدم صدق عند ربهم لرسوخهم في (مقام الإحسان) وتحققهم بأقوال النبي ﷺ وآله، وأفعاله وأحواله. ومجمل القول في ذلك أن هذا الحال هو الذي كان عليه أهل القرن الأول ثم الثاني ثم الثالث كما جاء في حديث الحبيب المصطفى ﷺ وآله [3] ، ثم بعد ذلك اختلط المسلمون بغيرهم ودخلت الفلسفات الأجنبية واللغات الأجنبية فهب رجال الدين الإسلامي لحمايته والدفاع عنه ، فقام كل باختصاصه يدون ويؤلف ويكتب، فهب رجال اللغة العربية فعملوا وأحسنوا، وقام رجال الفقه فعملوا

---

(١) حديث عمر رواه البخاري وهو حديث طويل حيث جاء جبريل إلى النبي ﷺ وهو جالس بين أصحابه فسأله عن الإسلام والإيمان ثم سأله عن تعريف الإحسان فقال له: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» .

(٢) العبارة المشهورة المأثورة عن الإمام مالك: « من تشرع ولم يتصوف فقد تفسق، ومن تصوف ولم يتشرع فقد تزندق، ومن تصوف وتشرع فقد تحقق» .

(٣) وذلك في حديثه ﷺ : « خير القرون قرني، ثم الذينت يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم » .

Marfat.com

وأحسنوا، وقام الأصوليون ليدافعوا عن عقيدة المسلمين، وقام العابدون الورعون العارفون بربهم ليبينوا للناس الدين الخالص والحال الذي كان عليه أهل القرن الأول من الرسوخ، (في مقام الإحسان والتحقق في الدين ظاهراً وباطناً، وهم رجال التصوف)، فكان اسم التصوف عَلَماً على هذه الطائفة القائمة على الحق الظاهرين عليه إلى قيام الساعة .

وكما أنه في المحدثين والفقهاء وغيرهم منحرفون عن الجادة فأنا لا أنكر أن الصوفية منهم الغث والسمين فمنهم المتحقق ومنهم المتبرك ومنهم المتلبس المتزندق . قال تعالى ﴿ **هم درجات عند الله، والله بصير بما يعملون** ﴾ سورة آل عمران / ,١٦٣.

وعلى كل حال فالحجة قائمة وهي في الكتاب والسنة ، فمن ادعى أنه صوفي متحقق وخالف الكتاب والسنة في أقواله وأفعاله فمرفوض ادعاؤه ومردود قوله وما أكثر هذا الصنف بين صفوف المسلمين أعاذنا الله والمسلمين من شرهم .

والآن نرجع لأمر كثر الحديث حوله وهو موقف الصوفية من (وحدة الوجود والاتحاد والحلول) فأقول وبالله التوفيق :-

وحدة الوجود المشار إليها عند الصوفية المسلمين مغايرة لقول الفلاسفة ووحدتهم الفكرية التي لا تفرق بين الخالق والمخلوق والصنعة والصانع فأي كفر أعظم من هذا وأي نقص ينسب إلى الله أعظم من ذلك ؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا ، والصوفية أهل الحق براء من ذلك .

Marfat.com

فوحدة[1] الوجود التي يرمز إليها بعض الصوفية أمر معنوي وعلم رباني يتعلق بتحقيق الوحدانية لله في ذاته وصفاته وأفعاله عرفوا ذلك وتحققوا فيه بنور رباني وقد قيل فيه (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)، وعرفوا ذلك أيضاً بتحققهم بالتبعية المحمدية حيث قال الله لنبيه في كتابه ﴿ **قُلْ هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني** ﴾[2]... الآية فالبصيرة المشار إليها هي الرؤية القلبية والمشاهدة الباطنية لحقائق الأمور وبواطن الأشياء فيكتسب صاحبها علماً لا مطمع للحصول عليه بالفكر أو بالعقل أو النظرة الحسية، فانظر رحمك الله إلى قوله تعالى لنبيه: ﴿ **على بصيرة أنا ومن اتبعني** ﴾... الآية فليس هذا النور وتلك المشاهدة القلبية خاصة بالنبي ﷺ وآله ولكن يشاركه في هذا المشرب من اتبعه بحق وهم خواص أمته فمن لم يتحقق بتلك التبعية المحمدية في الأقوال والأفعال والأحوال ، أو قل في (الإسلام والإيمان والإحسان) أو قل في (عمل الظواهر من الوقوف عند الحدود، وفي عمل البواطن من التوكل والرضا والتعلق بالمعبود، وفي عمل السرائر من الأذواق والمعارف والتحقق بأسرار الوجود) وإلا فلا مطمع له بالوصول إلى مراتب الكمال ومقامات الرجال لأنه مقيد بالوهم والخيال وبالنفس الأمارة التي تتغطرس وتتكبر فتظن أنها تخرق الأرض وتبلغ الجبال طولاً وما هؤلاء بالنسبة للرجال الكمل من ذوي المعارف والأسرار إلا بمنزله الصبيان .

---

(١) التصوف السني الملتزم ـ وهو العمدة والحجة ـ يرفض القول بوحدة الوجود . يقول الإمام السيد أحمد الرفاعي مؤسس وإمام الطريقة الرفاعية رضي الله عنه (صموا أسماعكم عن علم الوحدة، وعلم الفلسفة ومشاكلهما فإن هذه العلوم مزالق الأقدام إلى النار) ـ البرهان المؤيد ص ٧٠ .

(٢) سورة يوسف / ١٠٨ .

Marfat.com

فليس المراد بوحدة الوجود عند هؤلاء الصوفية وجودين قديمين اتحدا ولا قديم وحادث اتحدا تعالى الله عن ذلك فإنه سبحانه لا يحل في شئ ولا يتحد مع شئ ولا يمازج شيئاً ولا شئ من ذاته في خلقه ولا من خلقه في ذاته ، وقربه وبعده ليس كقرب الأجسام وبعدها ، ولا هو محصور ولا محدود ولا يحمله شئ ولا هو حامل لشيء استوى على عرشه بذاته استواء يليق به ، مطلق في ذاته وصفاته وأفعاله لا تقوم صفاته إلا بذاته ولا تفارق ذاته صفاته تنزه عن أوصاف خلقه ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ سورة الشورى/ ١١ .

وكل من يتكلم في التصوف من غير أن يتذوقه ويتحققه وينصب نفسه قاضياً وحاكماً قاسياً على أولياء الله من رجال التصوف الإسلامي ويصدر حكمه فيهم بما عنده من الجهل بحقائقهم ويؤول كلامهم الذي لا يفهم معناه على مراده هو، لا على مرادهم هم، إنما ذلك لخبث في طويته أو جهل مركب أو هما معاً فلا يؤخذ بقوله في شأن الصوفية والتصوف الإسلامي لأنه جاهل بذلك إذ ليس من اختصاصه .

فقد قال أحد الصالحين (إن كل من يتكلم في التصوف أو يحكم عليه من غير أن يعرف حقائقه ويتذوق معانيه إنما هو جاهل بالتصوف والصوفية فمثله كمن رأى جرة مملوءة مغلقة ورأى النحل يحوم حولها فحكم على ما في باطنها من تحويم النحل عليها من غير أن يتحقق بما فيها) .

والنحل هو الإشارات والرموز التي توحي بأن هناك شيئاً لا يستطيع من يراه التعبير عنه لدقته وغرابته بين العامة لأنه من أسرار الله تعالى ،

Marfat.com

كما قال أبو هريرة رضي الله عنه (حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين من العلم أما أحدهما فبثثته فيكم وأما الآخر فلو بثثته لقطعتم مني هذا البلعوم) صحيح رواه البخاري وقال الإمام زين العابدين :-

إني لأكتم من علمي جواهره ... كيلا يرى ذاك ذو جهل فيفتتنا
وقد تقدم في هذا أبو حسن ... إلى الحسين ووصى قبله الحسنا
يارُبَّ جوهر علم لو أبوح به ... لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي ... يرون أقبح ما يأتونه حسنا

وأما الأشخاص الذين حكموا على ما في الجرة خطأً فهم الذين يتكلمون في التصوف بغير علم ولا تحقق ويزعمون أنهم على علم وأن لهم يداً على أهل الله وأوليائه وهم مخطئون لأنهم لم يعرفوا التصوف ولم يلموا بمصطلحاته ورموزه وعباراته .

وقد قال الشيخ محيي الدين بن عربي في الباب ٣١٤ من الفتوحات المكية : " لو صح أن يرقى الإنسان عن إنسانيته ، والملَكَ عن ملكيته، ويتحد بخالقه تعالى ؛ لصح انقلاب الحقائق وخرج الإله عن كونه إلهاً ، وصار الحق خلقاً ، والخلق حقاً ، وما وثق أحد بعلم ، وصار المحال واجباً ؛ فلا سبيل إلى قلب الحقائق أبداً " ، كما قالً في ذلك شعراً :

ودع مقالة قوم قال عالمهم ... بأنه بالإله الواحد اتحدا
الاتحاد محال لا يقول به ... إلا جهول به عن عقله شردا
وعن حقيقته وعن شريعته ... فاعبد إلهك لاتشرك به أحدا

Marfat.com

فانظر كيف ينفي الاتحاد والحلول بشدة ، فما كان في كتبه مما يوهم ذلك فهو إما مدسوس عليه ، وإما فُهِمَ على غير حقيقته ... فليتق الله من يطلق لسانه على أهل الله تعالى (راجع اليواقيت والجواهر جـ١ صـ ٨٠ - ٨١) ، وهذا أيضاً عين ما أشار إليه الشيخ محيي الدين بن عربي في الفتوحات جـ٤ ، صـ ٣٧٢ - ٣٧٩ (ما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد ومن قال بالحلول فهو معلول لا دواء له) .

وقد قال الشيخ علوان الحموي (ت ٩٣٦ هـ) في أحكام النظر صـ ١٨٧ ومن ذلك ما أُثِرَ من كلام محمد بن واسع تلميذ الحسن البصري في فنائه عن الخلق بالحق ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله فيه . فقال معلقاً على المعنى : مذهب أهل الحق أن مولانا عز وجل لا يحل في شيء ، ولا يحل فيه شيء ، وكلما ورد عليك ما يوهم ظاهرُهُ الحلولَ فأوِّلْهُ.

ومن التأويل الواعي ما قاله الشيخ ابن تيمية : (في مجموعة الرسائل والمسائل صـ ٨٦) : " إذا قال قائل إلا ورأيت الله فيه " ، أو قبله أو بعده ، بمعنى ظهور آثار الصانع في صنعته .

فهذا القول صحيح - بل القرآن كله مبني على هذا ، وهو سبحانه نور السموات والأرض

أما الشيخ الهجويري (ت . ٤٧٠ هـ) في كتابه (كشف المحجوب صـ ١١٥) تعليقاً على هذه العبارة فقد قال : " إن المرء عندما تغلبه المحبة للذات الإلهية يصل إلى مرحلة لا يرى فيها الصنع وإنما يرى الصانع " ، وقال أحد العارفين : (أراد بهذه الرؤية الشهود لا رؤية البصر لأن الرؤية من خصائص البصر ، والشهود من خصائص

Marfat.com

البصيرة) ، فليتدبر ذلك من يهاجمون الصوفية ، وليتعظوا بمقولة الشيخ ابن تيمية ، وغيره من أهل المعرفة والبصيرة .

فعلى كل حال سنترك كل من يطوي خبثاً وإساءة لأولياء الله الذاكرين الله كثيراً من رجال التصوف الإسلامي سنتركه إلى الله يوم تنكشف الأستار ، وتبرز الأسرار فيعرف حين ذلك ما عندهم من الحقائق وما عنده من الخيال ، لكن بعد أن يقطف ثمرة الخسران من القطيعة والحرمان ويندم حين لا ينفعه الندم . قال عليه الصلاة والسلام في شأن الذاكرين حديثاً له معناه (لا يتحسر أهل الجنة في الجنة إلا على ساعة مرت في الدنيا لم يذكروا الله فيها) وقال تعالى : (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) سورة الرعد/ ٢٨ .

فماذا نقول لأمثال هؤلاء إلا (أنهم نيام عن الحقائق فإذا ماتوا انتبهوا) فبدلاً من أن يثوبوا إلى رشدهم ويذكروا ربهم ويصحبوا هؤلاء الصادقين الذين أمر الله بصحبتهم قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾ [1] فبدلاً من ذلك أطلقوا ألسنتهم وأقلامهم لتمطر على الذاكرين والصالحين مطر السوء فرحماك اللهم فأنت أرحم الراحمين .

بما سبق لخص أحد المفكرين نشأة التصوف في الإسلام ويؤيد هذا الرأي عن نشوء التصوف ما ذكره العلامة القشيري حيث يقول الإمام أبو القاسم عبد الكريم القشيري في رسالته (الرسالة القشيرية)[2] :-

---

(١) سورة االتوبة / ١١٩ .

(٢) الرسالة القشيرية ص ١٢ ط صبيح .

Marfat.com

(اعلموا رحمكم الله تعالى أنّ المسلمين بعد رسول الله ﷺ لم يَتَسَمَّ أفضلهم في أجيالهم بتسمية عَلَمٍ سوى صحبة رسول الله ﷺ إذ لا فضيلة لهم فوقها فقيل لهم، (الصحابة)، ولما أدركهم أهل العصر الثاني سمي من صحب الصحابة (التابعين)، ورأوا ذلك أشرف سمَة، ثم قيل لمن بعدهم (أتباع التابعين) ، ثم اختلف الناس وتباينت المَراتب ، فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين (الزهاد والعباد)، ثم ظهرت البدع وحصل التداعي بين الفرق فكل فريق ادعوا أن فيهم زهادا ، فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفاسهم مع الله تعالى الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم (الصوفية) واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة).

وهكذا يتبين لنا أن التصوف نشأ مع الإسلام وولد معه ، لأنه جزء منه وليس بشيء زائد عليه بل هو التطبيق العملي والجانب الروحي منه ، وهو لا يمت بصلة إلى ما يقوله أعداء الإسلام عنه أنه مأخوذ عن الأمم الأخرى ، بل ما هو في واقع الأمر إلا حال النبي ﷺ وآله والقرون الثلاثة الأولى المشهود لها بالخيرية ، وما الصوفي إلا المسلم الذي يكون في حاله مع الله ومع الناس أقرب شئ إلى ما كان عليه النبي عليه الصلاة والسلام وصفوة أصحابه .

Marfat.com

التصوف تعريفاً واشتقاقاً

تعريف التصوف

للتصوف تعاريف كثيرة بلغت الألفين . أحسنها وأجمعها هذان التعريفان :

أ - قال ابن عجيبة رحمه الله :ـ

التصوف : (صدق التوجه إلى الله بما يرضاه ومن حيث يرضاه)[1] .

ب - وقال أيضاً :ـ

(التصوف علم يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك ، وتصفية البواطن من الرذائل وتحليتها بأنواع الفضائل فأوله علم وأوسطه عمل وآخره موهبة)[2] .

ولقد كادت كتب التصوف تجمع على أنه (صدق التوجه المشروط برضى الله سبحانه وتعالى) .

اشتقاق التصوف

للتصوف عدة اشتقاقات ذكرت في كتب السادة الصوفية كالرسالة القشيرية والإحياء وغيرهما ، ولم يتفق الصوفية على واحدة منها تكون أصلاً لاشتقاق التصوف ، لكن الشيخ ابن عجيبة رحمه الله ذكر أكثرها واختار الأخيرة منها ، وإليك نص كلامه رحمه الله :ـ

واشتقاقه ـ أي التصوف إما :ـ

١ ـ من الصفاء ، لأن مداره على التصفية .

---

(١) إيقاظ الهمم ـ شرح الحكم لابن عجيبة في مواضيع كثيرة منه .

(٢) معراج التشوف إلى حقائق التصوف لابن عجيبة ص٤ـ٥، وذكر ابن عجيبة تعريفاً آخر للتصوف في ضمن هذا التعريف فقال (أو غيبة الخلق في شهود الحق مع الرجوع إلى الأثر) .

Marfat.com

٢ ـ أو من الصَّفْوة (الكاملين)، لأنه اتصاف بالكمالات .
٣ ـ أو من صُفَّة المسجد النبوي ، لأن الصوفية متشبهون بأهل الصُّفَّة في التوجه والانقطاع. وليس هذا اشتقاقاً وإنما هو من قبيل النسبة لأهل الصُّفَّة .
٤ ـ أو من الصوف لأن جل لباسهم الصوف تقللاً من الدنيا وزهداً فيها ، واختاروا ذلك لأنه كان لباس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام [١] .

وقد اختار ابن عجيبة رحمه الله الاشتقاق الأخير فقال :
(هذا الاشتقاق أليق لغة وأظهر نسبة ، لأن لباس الصوف حكم ظاهر على الظاهر ونسبتهم إلى غيره أمر باطن ، والحكم بالظاهر أوفق وأقرب) .

من هو الصوفي ؟

ويقول الشيخ ابن عجيبة رحمه الله :
(قال سهل التستري : الصوفي من صفا من الكَدَر وامتلأ من الفكَر وانقطع إلى الله عن البَشَر واستوى عنده الذهب والمَدَر ـ أي لا رغبةَ له في شئ دون مولاه) .

وقال الجنيد : (الصوفي كالأرض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلا كل مليح) .

وقال أيضاً : الصوفي كالأرض يطؤه البر والفاجر ، وكالسماء تظل كل شئ وكالمطر يسقي كل شئ) [٢] .

---

(١) معراج التشوف إلى حقائق التصوف ص٥ وراجع كتاب (أصول التصوف) للعلامة الشيخ عبداللطيف صالح فرفور .
(٢) معراج التشوف ص٥ .

86452

Marfat.com

وزبـــدة القـــول :

والحق أنْ التصوف تفسير (لمقام الإحسان) الذي هو (مقام الشهود والعيان) ولا مشاحة في المصطلحات وإنما العبرة للحقيقة والجوهر ، فإذا كان إصلاح الظاهر واجباً فإصلاح الباطن أوجب لأنه موضع نظر الله عز وجل ، وإذا كان إصلاح باطن العبد وسريرته وقلبه جوهر الدين فذلك هو التصوف ، ولا يزيد أبداً عن كونه إصلاحاً للقلوب .

القرآن الكريم والسنة النبوية

(مصدر التصوف الإسلامي)

الطرق الصوفية المنسوبة إلى أكابر الأولياء - وبمعزل عما يلصقه بها الأدعياء والمنتسبون من الداخل أو يفتريه عليها السفهاء والمرجفون من الخارج - هي في حقيقتها مدارس عملية لتطبيق المنهج الإسلامي الشامل (عقيدةً وشريعةً وسلوكاً وممارسةً وصوراً حيةً ومعبرةً لما كان عليه الصحابة والتابعون في القرون الإسلامية الزاهرة) ، دعت إلى الله تعالى بالسلوك والتطبيق العملي في المقام الأول لأحكام الشريعة وبالموعظة الحسنة وسبرت أغوار النفس الإنسانية بكل جوانبها السلبية والإيجابية فكان التوفيق حليفها في هذا المضمار . ومن أقوال أعلام التصوف وأئمته ننقل هنا ما يشير إلى حقيقة ما هم عليه وما يدينون أنفسهم به ويَدْعون أتباعهم إليه .

قال أبو الفيض ذو النون المصري : (مدار الكلام على أربع ، حب الجليل وبغض القليل ، واتباع التنزيل ، وخوف التحويل) ، القليل هنا بمعنى " ما قل من العمل الصالح " وقيل هو الدنيا ، لقوله تعالى (قل متاع الدنيا قليل) وهو الأرجح .

Marfat.com

وقال أبو الحسن السري بن المغلس السقطي : (التصوف اسم لثلاثة معان وهو الذي لا يطفئ نور معرفته نور ورعه ، ولا يتكلم بباطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب والسنة ، ولا تحمله على هتك أستار محارم الله) .

وقال أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي : (لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتقي في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة) .

وقال أبو الحسين أحمد بن محمد النوري : (من رأيته يدعي مع الله حالة تخرجه عن حد العلم الشرعي فلا تقربَنَّ منه) .

وقال أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز: (كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل).

وقال أبو العباس أحمد بن محمد بن عطاء الله السكندري : (من ألزم نفسه آداب الشريعة نَوَّرَ الله قلبَهُ بنور المعرفة ، ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في أوامره وأفعاله وأخلاقه) .

Marfat.com

وقال أبو حمزة البغدادي البزار : (من علم طريق الحق تعالى سهل عليه سلوكه ، ولا دليل على الطريق إلى الله تعالى إلا متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم في أحواله وأفعاله وأقواله) .

وقال الإمام عبد الله بن علوي الحداد باعلوي الحسيني رحمه الله تعالى في قصيدته التائية الكبرى :

وما في طريق القوم بدء ولا انتهاء ... مخالفة للشرع فاسمع وأنصتِ
وخل مقالات الذين تخبطوا ... ولا تك إلا مع كتاب وسنةِ
فثم الهدى والنور والأمن من ردى ... ومن بِدْعةٍ تُخْشَى وزيغٍ وفتنةِ
ومتبعو حكم الكتاب وسنة ... هم المفلحون الفائزون بجنةِ
عليهم من الرحمن رضوانه الذي ... هو النعمة العظمى وأكبر منَّةِ
ومن حاد عن علم الكتاب وسنةٍ ... فبشره في الدنيا بخزي وذلةِ
وبشره في العقبى بسكنى جهنم ... وحرمان جناتِ الخلودِ ورؤيةِ

ويقول الشيخ ابن تيمية عن تمسك السادة الصوفية بالكتاب والسنة في قسم (علم السلوك) من فتاواه ما نَصُّه :

" والشيخ عبد القادر (الجيلاني رحمه الله) ونحوه من مشائخ زمانهم أُمَرُوا بالتزام الشرع والأمر والنهي ، وتقديمه على الذوق والقَدَر ، وهو من أعظم المشائخ أمراً بترك الهوى ، والإرادة النفسية ؛ فإن الخطأ في الإرادة من حيث هي إرادة إنما تقع من هذه الجهة . فهو يأمر السالك أنْ لا تكون له إرادة من جهته هو أصلاً ، بل يريد ما يريد

Marfat.com

الرَّبُّ عـز وجل ، إمـا إرادة شرعـيـة إن تَبَـيَّنَ له ذلك ، وإلا جـرى مع الإرادة القَدَرية ، فـهـو إما مع الـرب ، وإما مع خلقه ، وهو سبـحـانه له الخلق والأمر ، وهذه طريقة شرعية صحيحة " (١).

عقيـدة أهـل التصـوف

بعض أعداء الصـوفية المعـاصرين يتهمـونهم بأن لهم عقائد مخـالفة لعـقـائد المـسلمـيـن أهل السنة والجـمـاعـة ، وهـذه عـقـائـد الصـوفـيـة ومعتقداتهم كما بينها الصـوفي الكبير الشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتابه (الأنوار الـقدسية في معـرفة قواعد الصـوفية) الطبعـة الثانية ـ دار جوامع الكلم ـ الدراسة ـ القاهرة .

ومنها يتبين أنها مطـابقة تماماً لمعتقد أهل السنة والجمـاعة الموافقة للكتاب والسنة وعقيدة السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم .

عقائد القوم وبيان موافقتها لعقائد أهل السنة والجماعة :

" اعلم يا أخي أن القوم أجمعوا على أن الله تعالى إله واحد لا ثاني له، منزه عن الصـاحبة والولـد، مالـك الملـك لا شـريك لـه، صـانعـه لا مـدبر معـه، مـوجود بذاته من غير افتقـار إلى موجـد يوجـده، بل كل مـوجـود مفتـقر إليـه في وجـوده، فـالعـالم كله مـوجـود به ، وهو تعـالى مـوجود بذاته ، لا افـتتاح لوجـوده، ولا نهـاية لبقـائه ، بل وجـوده مطلق مسـتمـر ، قـائم بنفسـه، ليس بجـوهـر فَيُقَـدَّرُ له المكان ولا بـعـرض فيستحيل عليه البقاء، ولا بجسم فتكون له الجهـة والتلقاء، مقدس عن

---

(١) راجع: مجموعة فتاوى الشيخ ابن تيمية جـ١٠، صـ٤٨٨ ـ ٤٨٩، (وراجع حقائق التصوف للشيخ عبدالقادر عيسى صـ٤٨٢) .

Marfat.com

الجهة والأقطار مرئي بالقلوب والأبصار، استوى تعالى على عرشه كما قال، وعلى المعنى الذي أراده [1] كما أن العرش وما حواه به استوى[2]، له الآخرة والأولى، ليس له مِثْلٌ معقول ولا دلت عليه العقول، لا يحده زمان، ولا يقله مكان، وهو الآن على ما عليه كان خلق المتمكن والمكان، وأنشأ الزمان، وقال: أنا الواحد الحي الذي لا يؤوده حفظ المخلوقات ولا ترجع إليه صفة لم يكن عليها ولا تَلْحَقُهُ صفَةٌ من صفات المصنوعات، تعالى أن تحله الحوادث أو يحلها، أوَ تكون قبله أو يكون قبلها، بل يقال كان ولا شئ معه، لأن القبل والبعد من صيغ الزمان الذي أبدعه، فلا نطلق عليه تعالى ما لم يطلقه على نفسه فإنه أطلق على نفسه: الأول والآخر لا القبل والبعد. فهو القيوم الذي لا ينام، والقهار الذي لا يرام ليس كمثله شئ وهو السميع البصير، خلق العرش وجعله حد الاستواء. أنشأ الكرسي وأوسعه الأرض والسماء، اخترع اللوح والقلم الأعلى، وأجراه كاتباً في خلقه إلى يوم الفصل والقضاء. أبدع العالم كله على غير مثال سابق وخلق الخلق، وأخلق ما خلق.

أنزل الأرواح إلى الأشباح أمنا، وجعل هذه الأشباح المنزلة إليها الأرواح في الأرض خلقا، وسخر لها ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه، فلا تتحرك ذرة إلا عنه، خلق الكل من غير حاجة إليهم له، ولا موجب أوجب ذلك عليه، لكن علمه بذلك سبق، فلابد أن يخلق ما خلق.

---

(١) أي في قوله جل شأنه ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ طـه / ٥.

(٢) أي الكل قائم بقدرته ولطفه وفي رحمته وإحاطته وعلمه قال تعالى: ﴿ ربنا وسعت كل شيء رحمةً وعلماً ﴾.

Marfat.com

فهو (الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم)[1] ، أحاط بكل شئ علما، وأحصى كل شئ عدداً ، يعلم السر وأخفى ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور كيف لا يعلم شيئاً خلقه؟، ﴿**آلا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**﴾[2] علم الأشياء قبل وجودها ثم أوجدها على حد ما علمها، فلم يزل عالما بالأشياء لم يتجدد له علم عند تجرد الأشياء، أتقن الأشياء وأحكمها بعلمه، يعلم الكليات والجزئيات على الإطلاق ؛ فهو عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون، فعال لما يريد فهو المريد للكائنات في عالم الأرض والسموات، لم تتعلق قدرته تعالى بإيجاد شئ حتى أراده، كما أنه سبحانه ماأوجده حتى علمه، إذ يستحيل أن يريد سبحانه وتعالى ما لم يعلم، أو يفعل المختار من ذلك الفعل مالا يريده ، كما يستحيل أن توجد هذه الحقائق من غير حي ، كما يستحيل أن تقوم الصفات بغير ذات موصوفة بها .

فما في الوجود طاعة ولا عصيان ، ولا ربح ولا خسران ، ولا عبد، ولا حر ، ولا برد ولا حر، ولا حياة ولا موت، ولا حصول ولا فوت ، ولا نهار ولا ليل ، ولا اعتدال ولا ميل، ولا بر ولا بحر، ولا شفع ولا وتر، ولا جوهر ولا عرض ، ولا صحة ولا مرض، ولا فرح ولا ترح، ولا روح ولا شبح، ولا ظلمة ولا ضياء، ولا أرض ولا سماء ، ولا تركيب ولا تحليل، ولا كثير ولا قليل ولا غداة ولا أصيل، ولا بياض ولا سواد ، ولا سهاد ولا رقاد، ولا ظاهر ولا باطن، ولامتحرك ولا

---

(١) سورة الحديد / ٣ .
(٢) سورة الملك / ١٤ .

Marfat.com

ساكن، ولا رطب ولا يابس، ولا قشر ولا لب، ولا شئ من جميع المتضادات المختلفة والمتماثلات، إلا وهو مراد للحق تعالى، وكيف لا يكون مراداً له وهو أوجده؟ . فكيف يوجد المختار ما لا يريد؟. لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء، ويذل من يشاء ويضل من يشاء ، ويهدي من يشاء ، ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن .

لو اجتمع الخلائق كلهم على أن يريدوا شيئاً لم يرد الله تعالى لهم أن يريدوه ما أرادوه ، أو أن يفعلوا شيئاً لم يرد الله إيجاده وأرادوا ما فعلوه ولا استطاعوا ولا أقدرهم عليه ، فالكفر والإيمان والطاعة والعصيان من مشيئته وحكمته وإرادته ، ولم يزل سبحانه وتعالى موصوفاً بهذه الإرادة أزلاً والعالم معدوم، ثم أوجد العالم من غير تفكر ولا تدبر، بل أوجده عن العلم السابق ، وتعيين الإرادة المنزهة الأزلية القاضية على العالم بما أوجدته عليه من زمان ومكان وأكوان وألوان فلا مريد في الوجود على الحقيقة سواه إذ هو القائل سبحانه: ﴿ **وما تشاءون إلا أن يشاء الله** ﴾ [1].

وأنه تعالى كما علم ما خلق، وأراد فخصّ، وقَدَّر فأوجد ، كذلك سمع ورأى ما تحرَّكَ وسكن، ونطق في الورى، من العالم الأسفل والأعلى ولايحجب سمعه البعد، فهو القريب، ولا يحدُّ بصره القرب، فهو البعيد، يسمع كلام النفس في النفس، وصوت المماسة الخفية عند اللمس، يرى السواد في الظلماء، والماء في الماء، لا يحجبه الامتزاج، ولا الظلمات، ولا النور وهو السميع البصير .

---

(١) سورة الإنسان / ٣٠ .

Marfat.com

تكلم سبحانه، لا عن صمت متقدم، ولا سكوت متوهم، بكلام قديم أزلي كسائر صفاته من علمه وإرادته وقدرته، كلم به موسى عليه الصلاة والسلام، سماه التنزيل والزبور والتوراة والإنجيل والقرآن ، من غير تشبيه ولا تكييف ، إذْ كلامه تعالى من غير لهاة ولا لسان كما أن سمعه من غير أصمخة ولا آذان ، كما أن بصره من غير أعين ولا أجفان ، كما أن إرادته من غير قلب ولا جنان ، كما أن علمه من غير اضطرار ولا نظر في برهان كما أن حياته من غير بخار تجويف قلب حدث عن امتزاج الأركان ، كما أن ذاته لا تقبل الزيادة ولا النقصان .

فسبحانه سبحانه من بعيد دانٍ ، عظيمِ السلطان عميمِ الإحسان جسيمِ الامتنان، كل ما سواه فهو عَن وجوده فائض ، وفضله وعدله الباسطَ والقابض، أكمل صنع العالم وأبدعه حين أوجده واخترعه ، لا شريك له في ملكه ولا مدبر معه فيهَ إن أنْعم فَنَعمَ العبدُ فذلكَ فضله ، وإن أبلى فعذب فذلك عدله لم يتصرف في مَلك غيره فينسب إلى الجور والحيف ، ولا يتوجه عليه من سواه حكم فيتصف بالجبر لذلك والخوف ، كل ما سواه فهو تحت سلطان قهره ومتصرف عن إرادته وأمره ، فهو الملهم نفوس المكلفين للتقوى والفجور [أي لتعمل بالتقوى وتجتنب الفجور أو تقوم عليها الحجة بالعلم بما تفعل]. فهو المتجاوز عن سيئات من شاء هنا وفي يوم النشور لا يحكم عدله في فضله ولا فضله في عدله ، لقدم صفاته كلها ، وتنزهها عن الحدوث .

أخرج العالم قبضتين ، وأوجد لهم منزلتين ، فقال : هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي ولم يعترض عليه معترض هناك إذ لا

Marfat.com

موجود كان ثم سواه فالكل تحت تصرف أسمائه ، فقبضة تحت أسماء بلائه وقبضة تحت أسماء آلائه ، لو أراد سبحانه أن يكون العالم كله سعيداً لكان ، أو شقياً لما كان في ذلك من شان لكنه سبحانه لم يرد ذلك فكان كما أراد فمنهم الشقي ومنهم السعيد ، هنا وفي يوم الميعاد، فلا سبيل إلى تبدي ما حكم عليه القدم وقد قال تعالى في حديث فرض الصلاة : " هي خمس وهي خمسون " ﴿ **ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد** ﴾ (١) . لتصرفي في ملكي وإنفاذ مشيئتي في ملكي.

وذلك لحقيقة عميت عنها البصائر ولم تعبر عليها الأفكار ولا الضمائر إلا بوهب إلهي ووجود رحماني ، لمن اعتنى الله به من عباده ، وسبق له ذلك في حضرة إشهاده ، فعلم حين أعلم أن الألوهية أعطت هذا التقسيم ، وأنها من دقائق القديم فسبحان من لا فاعل سواه ، ولا موجود بذاته إلا إياه ﴿ **والله خلقكم وما تعملون** ﴾ (٢) . ﴿**لا يُسْأل عما يفعل وهم يسألون** ﴾ (٣) ﴿ **قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين** ﴾ (٤).

---

(١) ق/ ٢٩ .
(٢) الصافات/ ٩٦ .
(٣) الأنبياء/ ٢٣ .
(٤) الأنعام/ ١٤٩ .

Marfat.com

وكما شهدنا لله تعالى بالوحدانية وما يستحقه من الصفات العلية، كذلك نشهد لسيدنا ومولانا محمد (ﷺ) بالرسالة إلى جميع الناس كافة بشيراً ونذيراً، ﴿ **وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً** ﴾[1] وأنه ﷺ، بلَّغ جميع ماأنزل إليه من ربه وأدى أمانته، ونصح للأمة، وقد ثبت أنه ﷺ، وقف فى حجة الوداع على كل من حضره من الأتباع، فخطب وَذَكر وَخَوفَّ وأنذر، ووَعَد وأَوْعد، وأمطر وأرعد، وما خص بذلك التذكير أحداً دون أحد، عن إذن الواحد الصمد ثم قال: ألا هل بلغت؟ فقالوا جميعاً: قد بلغت يا رسول الله، فقال ﷺ وآله: اللهم فاشهد.

ونؤمن بكل ما جاء به رسول الله ﷺ وآله ، مما علمنا ومما لم نعلم فمما علمنا وتحققنا مما جاء به وقرر ، أن الموت عن أجل مسمى عند الله إذا جاء لايؤخر ، فنحن مؤمنون بهذا إيماناً لا ريب فيه ولا شك ، كما آمنا وأقررنا وصدقنا أن سؤال منكر ونكير في القبر حق ، وأن عذاب القبر حق ، والبعث من القبور حق ، والعرض على الله تعالى حق والحوض حق ، والميزان حق ، وتطاير الصحف حق ، والصراط حق ، والجنة والنار حق ، وفريقاً في الجنة وفريقاً في السعير حق ، وأن كرب ذلك اليوم على طائفة حق وطائفة أخرى لايحزنهم الفزع الأكبر حق ، وأن شفاعة المصطفى صلى الله عليه وسلم حق وأن شفاعة الأنبياء والملائكة وصالحي المؤمنين حق ، وشفاعة أرحم الراحمين حق ، فتشفع أسماؤه من الحنان والرحمة عند أسماء الجبروت والنقمة والعدل وكذلك نؤمن بأن إيمان أهل النار كفرعون وغيره غير مقبول ولا نافع ، وأن جماعة من أهل الكبائر من الموحدين يدخلون

---

(١) الأحـــزاب / ٤٦ .

Marfat.com

جهنم ثم يخرجون بالشفاعة حق وأن كل ما جاءت به الكتب والرسل من عند الله تعالى حق .

كذلك نؤمن بأن التأبيد للمؤمنين في النعيم المقيم حق ، والتأبيد للكافرين والمشركين والمجرمين في النار حق ، فهذه عقيدة القوم رضي الله عنهم أجمعين . وعقيدة عليها حيينا وعليها نموت . كما هو رجاؤنا في الله عز وجل. فنسأل الله من فضله أن ينفعنا بهذا الإيمان ويثبتنا عليه عند الانتقال إلى الدار الحيوان. ويحلنا دار الكرامة والرضوان ، ويحول بيننا وبين دار (سرابيل أهلها القطران)، ويجعلنا من العصابة التي تأخذ كتبها بالإيمان، وممن ينقلب من الحوض وهو ريان ويرجح له الميزان بالإحسان ، ويثبت منه على الصراط القدمان . إنه المنعم المنَّان آمين اللهم آمين ، اللهم آمنين (بفضل الله العظيم، ورسول رحمته الكريم) ﴿ **حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون** ﴾ سورة التوبة / ٥٩ .

فأمعن يا أخي النظر في هذه العقيدة فإنها عظيمة الشان . وإن حفظتها عن ظهر قلب كان أولى لك فأولى ، والله يتولى هداك ، والله يرعاك ولك يتولى .

تلك كانت (عقيدة أهل التصوف) كما بينها الصوفي الكبير الشيخ عبدالوهاب الشعراني صاحب المؤلفات الكثيرة في علم التصوف، وهي عندما يتدبرها المنصف يراها مطابقة تماماً بل هي نفس عقيدة السواد الأعظم، أهل السنة والجماعة، التي عبر عنها كل من الإمام الطحاوي والإمام حجة الإسلام الغزالي، وأخيراً الإمام عبد الله ابن علوي الحداد الحضرمي الحسيني رحمهم الله تعالى أجمعين .

Marfat.com

مـن هـم الأشـاعـرة
ومن أعلام الهدى فيهم ؟!

يتضح مما مر من اعتقاد الصوفية أنه اعتقاد الأشاعرة غالباً فمن هم الأشاعرة؟

يقول العلامة السيد الشيخ محمد علوي المالكي :

يجهل كثير من أبناء المسلمين مذهب الأشاعرة ، ولا يعرفون من هم الأشاعرة ، ولا طريقتهم في أمر العقيدة ، ولا يتورع البعض أن ينسبهم إلى الضلال أو يرميهم بالمروق من الدين والإلحاد في صفات الله . وهذا الجهل بمذهب الأشاعرة سبب تمزق وحدة أهل السنة وتشتت شملهم حتى غدا البعض يسلك الأشاعرة ضمن طوائف أهل الضلال ، ولست أدري كيف يقرن بين أهل الإيمان وأهل الضلال ؟

وكيف يساوى بين أهل السنة وبين غلاة المعتزلة وهم الجهمية ؟

﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون﴾

سورة القلم/ ٣٥-٣٦ .

الأشاعرة هم أئمة أعلام الهدى من علماء المسلمين الذين ملأ علمهم مشارق الأرض ومغاربها ، وأطبق الناس على فضلهم ودينهم . هم جهابذة علماء أهل السنة وأعلام علمائهم الأفاضل الذين وقفوا في وجه طغيان المعتزلة إنهم طوائف المحدِّثين والفقهاء والمفسرين من الأئمة الأعلام :

١ ـ شيخ الإسلام أحمد بن حجر العسقلاني شيخ المحدثين بلا مراء صاحب كتاب " فتح الباري على شرح البخاري " أشعري

Marfat.com

المذهب وكتابه لايستغني عنه أحد من العلماء .

٢ ـ شيخ علماء أهل السنة الإمام النووي صاحب " شرح صحيح مسلم " وصاحب المصنفات الشهيرة أشعري المذهب .

٣ ـ شيخ المفسرين الإمام القرطبي صاحب تفسير " الجامع لأحكام القرآن " أشعري المذهب

٤ ـ شيخ الإسلام ابن حجر الهيثمي صاحب كتاب " الزواجر عن اقتراف الكبائر " أشعري المذهب .

٥ ـ شيخ الفقه والحديث الإمام الحجة زكريا الأنصاري أشعري المذهب .

٦ ـ الإمام ابن حجر العسقلاني ـ صاحب فتح الباري على شرح البخاري .

٧ ـ الإمام النسفي صاحب التفسير .

٨ ـ الإمام الشربيني .

٩ ـ أبو حيان التوحيدي صاحب تفسير " البحر المحيط " .

١٠ ـ الإمام ابن جزي صاحب «التسهيل في علوم التنزيل»...الخ.

١١ ـ الإمام ابن كثير صاحب التفسير .

١٢ ـ الإمام الشوكاني .

١٣ ـ الإمام ابن عطية صاحب التفسير .

كل هؤلاء من أئمة الأشاعرة . ولو أردنا أن نعدد هؤلاء الأعلام من المحدثين والمفسرين والفقهاء من أئمة الأشاعرة . لضاق بنا الحال واحتجنا إلى مجلدات في سرد أولئك العلماء الأفاضل الذين ملأ علمهم مشارق الأرض ومغاربها إن من الواجب أن نرد الجميل

Marfat.com

لأصحابه وأن نعرف الفضل لأهل العلم والفضل . الذين خدموا شريعة سيد المرسلين (من العلماء الأعلام) . وأي خير يرجى فينا إن رمينا علماءنا وأسلافنا الصالحين بالزيغ والضلال ؟ وكيف يفتح الله علينا لنستفيد من علومهم إذا كنا نعتقد فيها الانحراف والزيغ عن طريق الإسلام ؟ إنني أقول : هل يوجد بين علماء العصر من الدكاترة والعباقرة من يقوم بما قام به شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني والإمام النووي من خدمة السنة النبوية المطهرة كما فعل هذان الإمامان الجليلان تغمدهما الله بالرحمة والرضوان ؟ فكيف نرميهما وسائر الأشاعرة بالضلال ونحن بحاجة إلى علوم هؤلاء ؟ وكيف نأخذ العلوم عنهم إذا كانوا على ضلال ؟ ، وقد قال الإمام الزهري رحمه الله : إن العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم .

أفما كان يكفي أن يقول المعارض : إنهم رحمهم الله اجتهدوا فأخطئوا في تأويل الصفات وكان الأولى أن لا يسلكوا هذا المسلك ، بدل أن نرميهم بالزيغ والضلال ونغضب على من عدهم من أهل السنة والجماعة ؟ . وإذا لم يكن الإمام النووي ، والعسقلاني والقرطبي والفخر الرازي والهيثمي و زكريا الأنصاري وغيرهم من جهابذة العلماء وفطاحل النبغاء إذا لم يكونوا من أهل السنة والجماعة فمن هم أهل السنة والجماعة إذن ؟

إنني أدعو مخلصاً كل الدعاة وكل العاملين في حقل الدعوة الإسلامية أن يتقوا الله في أمة محمد صلى الله عليه وسلم وبخاصة في أجلة علمائها وأخيار فقهائها ولا خير فينا إذا لم نعرف لعلمائنا قدرهم وفضلهم .

Marfat.com

وهذا مُحَرر من (مفاهيم يجب أن تُصَحح) ٣٨ ـ ٤٠ للسيد محمد علوي المالكي) وغيره من المراجع الموثقة .

أما الإمام محيي الدين النووي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ فيقول في رسالته (المقاصد السبعة في أصول طريق التصوف) :

وهي خمسة . تقوى الله في السر والعلانية . واتباع السنة في الأقوال والأفعال . والإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار . والرضا عن الله تعالى في القليل والكثير . والرجوع إلى الله في السراء والضراء .

(فتحقيق التقوى) بالورع ؛ والاستقامة . وتحقيق السنة بالتحفظ ، وحسن الخلق . (وتحقيق الإعراض) بالصبر ، والتوكل . (وتحقيق الرضا) عن الله بالقناعة والتفويض . (وتحقيق الرجوع إلى الله تعالى) بالشكر له في السراء ، واللجوء إليه في الضراء . (وأصول ذلك خمسة) علو الهمة ، وحفظ الحرمة ، وحسن الخدمة ونفوذ العزيمة ، وتعظيم النعمة .

(فمن علت همته) ارتفعت رتبته . ومن حفظ حرمة الله حفظ الله حرمته . ومن حسنت خدمته وجبت كرامته : ومن نفذت عزيمته دامت هدايته ، ومن عَظَّم النعمةَ شكرها . ومن شكرها استوجب المزيد .

(وأصول المعاملات خمسة) : طلب العلم ، للقيام بالأمر . وصحبة المشائخ والإخوان للتبصر . وترك الرخص والتأويلات . للتحفظ . وضبط الأوقات بالأوراد ؛ للحضور . واتهام النفس في كل شئ . للخروج من الهوى . والسلامة من العطب .

Marfat.com

(فطلب العلم) آفته صحبة الأحداث سناً وعقلاً وديناً مما لا يرجع إلى أصل ولا قاعدة ، وآفة الصحبة الاغترار والفضول . وآفة ترك الرخص والتأويلات الشفقة على النفس [1] : وآفة اتهام النفس الأنس بحسن أحوالها واستقامتها : وقد قال الله تعالى : ﴿ **وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها** ﴾ سورة الأنعام/ ٧٠ .

(وأصول ما تداوى به علل النفس) خمسة : تخفيف المعدة بقلة الطعام والشراب واللجأ إلى الله مما يعرض عند عروضه ، والفرار من مواقف ما يخشى الوقوع فيه ، ودوام الاستغفار مع الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم باجتماع الخاطر ، وصحبة من يدلك على الله تعالى .

أقوال بعض كبار العلماء في التصوف والصوفية

قال الشيخ (عبد القاهر البغدادي) : وقد اشتمل كتاب تاريخ الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي على زهاء ألف شيخ من الصوفية ما فيهم واحد من أهل الأهواء .

وقال (أحمد بن زروق) حُدَّ التصوفُ ورُسِمَ وفُسِّر بوجوه تبلغ نحو ألفين ترجع كلها لصدق التوجه إلى الله تعالَى ، وإنما هي وجوه فيه (والله أعلم) وصدق التوجه مشروط بكونه من حيث يرضاه الحق تعالى ، ولا يصح مشروط بدون شرط ـ ﴿ **ولا يرضى لعباده الكفر** ﴾ [2] ـ فلزم تحقيق الإيمان ، ﴿ **وإن تشكروا يَرْضَهُ لكم** ﴾ [3] ـ

---

(١) ولم نجد آفة ضبط الأوقات . ولعلها الغفلة والكسل .
(٢) ، (٣) سورة الزمر / ٧ .

Marfat.com

فلزم العمل بالإسلام فلا تصوف إلا بفقه ، إذ لا تعرف أحكام الله تعالى الظاهرة إلا منه ، ولا فقه إلا بتصوف ، إذ لا عمل إلا بصدق التَّوجُّه إلى الله (ومنه قول مالك رحمه الله) :ـ

" من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ، ومن جمع بينهما فقد تحقق " (محرر من إيقاظ الهمم في شرح الحكم : ٥ ـ ٦) .

وقال الشيخ (عبد الوهاب الشعراني) : إن طريق القوم مشيدة بالكتاب والسنة ، ومَبْنِيَّةٌ على سلوك أخلاق الأنبياء والأصفياء ، وهي لا تكون مذمومة إلاَ إن خالفت صريح القرآن أو السنة أو الأحكام لاغير ، وأما إذا لم تخالف فغاية الكلام أنه فهم أوتيه رجل مسلم ، فمن شاء فليعمل به ومن شاء تركه ، وما بقى باب للإنكار إلا سوء الظن بهم ، وحملهم على الرياء وذلك لا يجوز شرعاً . فمن دقق النظر علم أنه لا يخرج شئ من علوم أهل الله تعالى عن الشريعة ، وكيف تخرج علومهم عن الشريعة ، والشريعة هي وصلتهم إلى الله عز وجل في كل لحظة ، ولكن أصل استغراب من لا إلمام له بأهل الطريق أن علم التصوف من عين الشريعة ، وكونه لم يَتَبَحَّرْ في علم الشريعة ، ولذلك قال الجنيد رحمه الله تعالى : (علمنا هذا مشيد بالكتاب والسنة) رداً على من توهم خروجه عنهما في ذلك الزمان أو غيره .

وقد أجمع القوم على أنه لا يصلح للتصدر في طريق الله عز وجل إلا من تبحر في علم الشريعة وعلم منطوقها ومفهومها وخاصها وعامها وناسخها ومنسوخها وتبحر في لغة العرب حتى عرف

Marfat.com

مجازاتها واستعارتها ، وغير ذلك ، فكل صوفي فقيه ولا عكس .

وبالجملة فما أنكر أحوال الصوفية إلا من جهل حالهم . وقال القشيري : لم يكن عصر في مدة الإسلام وفيه شيخ من هذه الطائفة إلا وأئمة ذلك الوقت من العلماء قد استسلموا لذلك الشيخ وتواضعوا معه وتبركوا به ولولا مزية وخصوصية القوم لكان الأمر بالعكس (انتهى) (محرر من الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار : ١ - ٤ للشعراني) .

وقال الشيخ (محمد أمين الكردي النقشبندي) :

فَحَدُّ[1] التصوف هو علم يعرف به أحوال النفس محمودها ومذمومها وكيفية تطهيرها من المذموم منها وتحليتها بالاتصاف بمحمودها ، وكيفية السلوك والسير إلى الله تعالى والفرار إليه ﴿ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين﴾ الذاريات / ٥٠ ، وثمرته تهذيب القلوب ومعرفة علام الغيوب ذوقاً ووجداناً ، والنجاة في الآخرة ، والفوز برضا الله تعالى ، ونيل السعادة الأبدية ، وتنوير القلب وصفاؤه بحيث تتكشف له أمور جليلة ، ويشهد أحوالاً عجيبة ، ويعاين ما عميت عنه بصيرة غيره (محرر من تنوير القلوب في معاملة علاّمُ الغيوب ٤٠٦) .

---

(١) حدُّ الشيء تعريفه .

Marfat.com

رأي الصوفية في الاتحاد والحلول
(استحالة الحلول والاتحاد)

أ - الحلـــول :

يقول (الإمام الغزالي) : المفهوم من الحلول أمران أحدهما النسبة التي بين الجسم وبين مكانه الذي يكون فيه وذلك لا يكون إلا بين جسمين فالبريء عن معنى الجسمية يستحيل في حقه ذلك ، والثاني النسبة التي بين العرض والجوهر فإن العرض يكون قوامه بالجوهر فقد يعبر عنه بأنه حال فيه وذلك محال على كل ما قوامه بنفسه فدع عنك ذكر الرب تعالى في هذا المعرض فإن كل ما قوامه بنفسه يستحيل أن يحل فيما قوامه بغيره ، إلا بطريق المجاورة الواقعة بين الأجسام فلا يتصور الحلول بين عبدين فكيف يتصور بين العبد والرب تعالى .

ب - الاتحـــاد :

وأما الاتحاد فذلك أيضاً أظهر بطلاناً لأن قول القائل أن العبد صار هو الرب كلام متناقض في نفسه ، بل ينبغي تنزه الرب سبحانه عن أن يُجْري إنسان في حقه بأمثال هذه المحاولات ويقول قولاً مطلقاً ، إن قولَ القائل أن شيئاً صار شيئاً آخر محال على الإطلاق لأننا نقول إذا عُقلَ زيد وحده وعمرو وحده ثم قيل إن زيداً صار عمراً واتحد به فلا يخَلو عند الاتحاد إما أن يكون كلاهما موجودين أو كلاهما معدومين أو زيد موجوداً وعمرو معدوماً أو بالعكس ولا يمكن قسم وراء هذه الأربعة .

Marfat.com

فإن كانا موجودين فلم يصر أحدهما عين الآخر . بل عين كل واحد منهما موجود وإنما الغاية أن يتحد مكانهما وذلك لا يوجب الاتحاد ، فإن العلم والإرادة والقدرة قد تجتمع في ذات واحدة ولا يتباين محلها ولا تكون القدرة هي العلم ولا الإرادة ولا يكون قد اتحد بعضهما بالبعض . وإن كانا معدومين فما اتحدا بل عدما ولعل الحادث شئ . وإن كان أحدهما معدوماً والآخر موجوداً فلا اتحاد إذ لا يتحد موجود بمعدوم ، فالاتحاد بين الشيئين مطلقاً محال وهذا جار في الذوات المتماثلة فضلاً عن المختلفة " فالقول في حق الله بذلك ضلال وغفلة .

يقول السيد أحمد الرفاعي إمام الطريقة الرفاعية في كتابه (البرهان المؤيد) :

* الطريق واضح : صلاة وصوم وحج وزكاة والتوحيد والشهادة برسالة الرسول ﷺ أول الأركان واجتناب المحرمات .

* ويقول الفقير ـ أي الصوفي ـ على الطريق مادام على السنة ، فمتى حاد عنها زل عن الطريق .

* كونوا مع الشرع في آدابكم كلها ظاهراً وباطناً . فإن من كان مع الشرع ظاهراً وباطناً كان الله حظه ونصيبه ، ومن كان الله حظه ونصيبه كان من أهل مقعد صدق عند مليك مقتدر .

* ويقول الحارث (المحاسبي) وأبو يزيد (البسطامي) ـ وهما من كبار الصوفية : ـ (الشرع لا ينقص ولا يزيد) ويقول الإمام الرفاعي (في البرهان المؤيد) : قال ابن أدهم قال: وأبو يزيد لا ينقص ولا يزيد وقال: الشافعي ومالك يهدي لأنجح الطرق وأقرب المسالك . شيدوا دعائم الشريعة بالعلم والعمل ، وبعدها ارفعوا الهمة للغوامض من أحكام العلم والعمل) .

Marfat.com

* وقال الإمام الرفاعي : والله ـ يا هذا، ما ثم اتصال ولا انفصال، ولا حول ولا انتقال ، ولاحركة ولازوال) .

* **ويقول نافياً للوحدة والاتحاد والحلول** : اتبع ولا تبتدع .. كل حقيقة خالفت الشريعة فهي زندقة .

ويقول الشيخ محمد زكي إبراهيم رائد العشيرة المحمدية في كتابه (فقه الصلوات والمدائح النبوية) وهو من كبار الصوفية المعاصرين :

العقائد المنحرفة :

ونقرر بهذا أننا نبرأ إلى الله تعالى من القول : باتحاد العبد بالرب بمعنى حلول الرب في العبد ، أو فناء العبد في الرب ، ونبرأ إليه من القول بوحدة الوجود التي تجعل الكون هو الله والله هو الكون، ونبرأ إليه من القول: بالحقيقة المحمدية بمعنى أن محمداً هو الله، أو هو الكون ، فالأمر منه وإليه ونبرأ إلى الله من القول بمخالفة الشريعة للحقيقة ، ومن كل فكر أو قول أو عمل، يخالف ظاهر الشرع الشريف، ونستغفر الله ونتوب إليه .

الشيخ الصوفي وشروط المشيخة

قال الشيخ (أحمد بن زروق) :

وشروط الشيخ الذي يلقي إليه المريد نفسه وقياده خمسة : علم صحيح ، وذوق صريح ، وهمة عالية ، وحالة مرضية ، وبصيرة نافذة .

ومن فيه خصلة من خمس خصال لا تصح مشيخته ، وهي :

Marfat.com

الجهل بالدين ، وإسقاط حرمة المسلمين ، ودخول فيما لا يعنيه ، واتباع الهوى في كل شئ ، وسوء الخلق من غير مبالاة .

وإن لم يكن شيخ مرشداً أو إن وجد ناقصاً عن الشروط الخمسة ، اعتمد على ما كمل فيه وعومل بالأخوة في الباقي (محرر من كتاب قوانين حكم الإشراق إلى كافة الصوفية في جميع الآفاق) .

وقال الإمام السيد أحمد الرفاعي في (البرهان المؤيد) صـ ٤٣،٤٤ :

(عليكم بنا : صحبتنا ترياق مجرب البعد عنا سم قاتل . أي محبوبي : تزعم أنك اكتفيت عنا بعلمك . ما الفائدة من علم بلا عمل . ما الفائدة من عمل بلا إخلاص . الإخلاص على حافة طريق الخطر . من ينهض بك إلى العمل ، من يداويك من سم الرياء ، من يدلك على الطريق القويم ، بعد الإخلاص ،) فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون (، هكذا أنبأنا العليم الخبير ، وقال أيضاً : (لازم أبوابنا أيها المحجوب فإن كل درجة وآونة تمضي لك في أبوابنا درجة وإنابة إلى الله تعالى ؛ فقد صحت إنابتنا إلى الله . قال تعالى : ﴿ **واتبع سبيل من أناب إلىّ** ﴾ سورة لقمان/ ١٥ انتهى .

ثم إن كلاً من الصاحب والمصحوب . إما أن يكون شيخاً . وإما أن يكون أخاً، وإما أن يكون مريداً . فإن كان شيخاً فينبغي أن يكون مرشداً كاملاً متشرعاً متديناً عارفاً في أصول الطريقة وأركانها وآدابها وخلواتها وجلواتها وأذكارها وأسرارها وسلوكها مطابقاً للشرع الشريف في أقواله وأفعاله وأحواله . عارياً من الكبر ، والعجب ، والحقد والحسد لمشايخ القوم . والكذب . خالياً من دسائس النفس

Marfat.com

متواضعاً ذا حرمة للفقراء . والمشايخ والغرباء ، طلق اللسان في تعريف السلوك ، يراعي المسائل في الجواب ، مهذب الأخلاق صاحب قلب ولسان ثابت قدم ، متسلسلاً بإجازة مربوطة واصلة إلى رسول الله ﷺ وآله .

وقال سيدي السيد أحمد عز الدين الصياد الرفاعي :

« اعلم أن من تصدر للمشيخة في هذه الطريقة العلية الرفاعية فقد جلس على بساط النيابة عن شيخ الأمة سيدنا السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه . فيجب عليه أن يكون عالماً بما أمره الله ونهاه عنه ، فقيها في الأمور التعبدية ، حسن الأخلاق طاهر العقيدة ، عارفاً بأحكام الطريقة سالكاً مسلكاً كاملاً شيخاً زاهداً متواضعاً حمولاً للأثقال ، صاحب وجد وحال وصدق مقال ، ذا فراسة وطلاقة لسان في تعريف أحكام الطريقة ، متبرئاً عن عوائق الشطح ، طارحاً ربقة الدعوى والعلو ، محباً لشيخه حافظاً شأن حرمته في حياته وبعد وفاته يدور مع الحق أين دار ، منصفاً في أقواله وأفعاله ، متكلاً على الله في جميع أحواله .

وذكر شيخنا السيد محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي في كتابه (العقد النضيد : في آداب الشيخ والمريد) ، فقال : وينبغي أن يتصف الشيخ المسلك باثنتي عشرة صفة : صفتان من حضرة الله تعالى وهما الحلم والستر . وصفتان من حضرة النبي ﷺ وآله وهما الرأفة والرحمة ، وصفتان من حضرة الصديق الأكبر رضي الله تعالى عنه وهما الصدق والتصديق وصفتان من حضرة الفاروق الأعظم رضي

Marfat.com

الله تعالى عنه وهما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وصفتان من حضرة عثمان ذي النورين رضي الله تعالى عنه ، وهما الحياء والتسليم . وصفتان من حضرة علي الكرار رضي الله عنه وهما الزهد الأتم والشجاعة ومتى اتصف الشيخ بهذه الأوصاف وتمكن قدمه ، وزكت شيمه ، صلح أن يكون قدوة في الطريق أ.هـ

وقد نقل نحو ذلك أيضاً عن حضرة السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره ومن كلامه رضي الله عنه وأرضاه في وصف الشيخ المرشد . هذه الأبيات الشريفات :

إذا لم يكن للشيخ خمس فوائد ∴ وإلا فدجال يقود إلى الجهل
عليم بأحكام الشريعة ظاهراً ∴ ويبحث عن علم الحقيقة عن أصل
ويُظْهرُ للوراد بالبشر والقرى ∴ ويخضع للمسكين بالقول والفعل
فهذا هو الشيخ المعظم قدره ∴ عليم بأحكام الحرام من الحل
يهذب طلاب الطريق ونفسه ∴ مهذبةٌ من قبل ذو كرم كُليّ

وإن كان الصاحب أو المصحوب أخاً فينبغي أن يكون خادماً لإخوانه . واقفاً على رؤوسهم بانشراح صدر ، بفرح وسرور متلذذاً بخدمتهم . باذلاً جهده في رضاهم . فقد قال رسول الله ﷺ وآله : (الخادم في أمان الله ما دام في خدمة أخيه المؤمن) وقال: (والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) ، وقال رسول الله ﷺ وآله " خادم القوم أعظمهم أجراً " رواه الديلمي .

Marfat.com

أما شيوخ الطريقة الرفاعية فيقولون :-

أول آداب الطريقة الرفاعية الصحبة ، وهي خدمة المرشد وذلك لتَتْطَبِعَ طباع المريد على طباع المرشد فتتبدل أخلاقه وطباعه، من سوء الخلق إلى حسن الخلق، ومن الغضب إلى الحلم، ومن البخل إلى السخاء، ومن الكبر إلى التواضع ومن الجفاء والغلظة إلى الوفاء والبشاشة، ومن الغدر والضرر إلى النفع والبر، ومن الدعوى إلى الوقوف عند الحد ، ومن الشطح إلى الأدب، ومن الخوض بالأقاويل الكاذبة المكفرة التي اعتادها جماعة من أهل الزيغ كالقول بالوحدة المطلقة وكنسبة تأثير الفعل إلى المخلوق وغير ذلك إلى الخضوع والانقهار تحت مرتبة العبدية ورد الآثار إلى المؤثر الحقيقي وهو الله تعالى .

وليخرج المريد من ورطة الكسل إلى ساحة النشاط بالعمل، وتجنب الزلل وليكون متجرداً عن غرض نفسه، ومرض طبعه، لا يريد فساداً في الأرض، ولا علواً عاملاً بكتاب الله، مقتفياً آثار رسول الله ﷺ وآله ، دائراً مع الحق حيث دار، معتمداً على الله ، متكلاً عليه، منصرفاً عن الأغيار، ناشراً لواء العزم ، شاداً مئزر العزيمة ، قريباً من أهل الحق، بعيداً عن أهل الباطل ، خاضعاً خاشعاً، لا يرى لنفسه على غيره مزية، لا تأخذه في الله لومة لائم ، محباً للعلماء معرضاً عن السفهاء ، غير متعزز في الطريق، لا طائشاً ولا فاحشاً ، غيوراً في دين الله لا ينحرف عن الحق اتباعاً لهوى نفسه يترقب من طرفة العين الموت، ويستحيى في كل أحواله وأفعاله من الله سبحانه، يعظم أشياخه، ويعرف منزلتهم ولا يجنح إلى غيرهم، ويحب القوم ويكثر

Marfat.com

الأدب مع أولياء الله جميعاً، وَيَحُدُّ المراتب، ولا يُغلُّ في دين الله ، وينصرف عن الأغيار ثقة بالله، ويحب لله، ويبغض لله، ويستمد من مدد الله بواسطة رسول الله ﷺ وآله، ويجعل أشياخه وسائط لرسول الله، عليه أفضل صلوات الله، ويتخذ الصدق والجد وقوة الحزم والعزم بضاعة في طريق الله، مع سلامة الصدر ، وطهارة النية وهي أصل عظيم في طريقة شيخنا ووسيلتنا إلى الله تعالى السيد أحمد الكبير الرفاعي رضي الله عنه كيف لا ؟ وطريقته طريقة المصطفى ﷺ وآله، وأخلاقه، وإن من طريقته عدم القول بتأثير المخلوقين، ورد الأمر في كل الأمور لله رب العالمين، وصدق الله العظيم ﴿ **لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم** ﴾ الروم / ٤-٥ . انتهى .

وقال الإمام الشيخ عبد الكريم بن محمد الرافعي في كتابه سواد العينين :

أخبرني الشيخ العارف أبو زكريا جمال الدين الحمصي : أن شيخه العارف بالله الحجة القدوة الإمام عز الدين أحمد الصياد سبط القطب الغوث أبي العباس السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنهم أخبره أن جده سيدنا السيد أحمد الكبير قال على كرسي وعظه في (أم عبيدة) : قد آن أوان زوال هذه المجالس : ألا فليخبر الحاضر الغائب : من ابتدع في الطرق وأحدث في الدين وقال بالوحدة ، وكذب متعالياً على الخلق وشطح متكلفاً ، وتفكه فيما نقل عن القوم من الكلمات المجهولة لدينا وتطاول كاذباً ، وخلا بامرأة أجنبية بلا حجة شرعية ، وطمح نظره لأعراض المسلمين وأموالهم ، وفرق بين الأولياء بعضهم

Marfat.com

عن بعض بلا وجه شرعي . وأعان ظالماً ، وخذل مظلوماً ، وكَذَّب صادقاً ، وصدق كاذباً ، وعمل بأعمال السفهاء ، وقال بأقوالهم فليس مني فأنا برئ منه في الدنيا والآخرة ، وسيدي الشيخ منصور برئ منه والنبي عليه أفضل صلوات الله وسلامه برئ منه والله برئ منه والله على ما نقول وكيل .

فما المقصود من اتخاذ شيخ وطريق ؟

يقول الشيخ محمد الهاشمي الشاذلي (وأما إذا كانت الطريق طريق تبرك ، والشيخ ينقصه بعض شروط الإرشاد ، أو تعدد مطلوب المريد، أو خالفت نية المريد همةَ الشيخِ وتعددَ الزمان ، أو فارق شيخه بموت أو غيره من حوادث الزمان ، وكان لم يتمم سيره إلى الله في الطريق ، ولم يحصل مقصوده من الطريق على يده ، فيجب عليه أن يواصل مطلوبه من الطريق ، ولا يجوز أن يبقى مربوطاً بالأول طول عمره ، وإلاّ أدى ذلك إلى موته جاهلاً بربه ويظن أن ذلك هو المقصود من الطريق . كلا فإن المقصود من الطريق الوصول إلى المطلوب الأعظم ـ عز وجل ـ فطريق بلا وصول وسيلة بلا غاية ، والطريق جعلت للسير فيها بقصد الوصول إلى مطلوبه لا للمكث والإقامة فيها وإلاّ أدى ذلك إلى موته جاهلاً بربه . والمراد بالمريد الحقيقي : هو الذي سلم نفسه مباشرة بالفعل للشيخ المرشد الحي في أيام السير إلى الله تعالى ليسلك به الطريق إلى أن يقول له : ها أنت وربك (نقل من كتاب الحل السديد لما استشكله المريد ٦ - ٧) .

Marfat.com

موقف ورأي الأئمة الأربعة
(رضوان الله تعالى عليهم)
في التصوف والصوفية

Marfat.com

رأي الأئمة الأربعة في التصوف والصوفية

وخلافاً لما يكتب ويقال عن موقف الأئمة الأربعة رضوان الله تعالى عليهم من التصوف والصوفية ، أثبت العارف بالله تعالى الشيخ أحمد العلوي المستغانمي في كتاب (رسالة الناصر معروف في الذب عن التصوف) محبتهم لهم واعتقادهم فيهم ، فقال : (أما جمهور الأمة وأكابر الملة فجميعهم مطبقون على أن التصوف هو زبدة الدين والغاية القصوى من سنن الموحدين ، وكفاه فضلاً أنه عبارة عن السير في (مقام الإحسان) الذي هو أحد أركان الدين الثلاثة المصرح بها في حديث جبريل عليه السلام) .

وقال (وماذا عسى تقوله الأئمة ومن لهم اطلاع على أحوال قوم وهبوا أنفسهم لله وبذلوا جهدهم في طاعة الله ، وأسسوا قوائم مجدهم على تقوى من الله إلى أن عُرفوا بين الخصوص والعموم بأنهم أهل الله وخاصته من خلقه ، دانو إلى الله بخالص التوجه فدانت لهم العباد وأشرقت بأنوار هداهم النواحي والبلاد) أ.هـ

وهأنذا أذكر لكم ما صح نقله عن المجتهدين وأئمة الدين وغيرهم من الكتاب المطلعين من جهة ما يرجع للتصوف واحترام أهله من عهد التابعين إلى يومنا هذا، وبذلك تدركون كون مذهب الصوفية مجمعاً على إعظامه واحترامه بين سائر طبقات الأمة إلا من [1] شذ والنادر لا حكم له .

---

(١) قلت وهذا الشاذ جديران يعتبر مبتدعاً خارجاً لما أجمع عليه السواد الأعظم من خاصة الأمة وعامتها. لأن الله مع الجماعة حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم: «لاتجتمع أمتي على ضلالة» ونصح الصحابي : «عليك بالجماعة» .

Marfat.com

ونبدأ بمرجع عظيم للكل - في التصوف - ونعني به الإمام الحسن البصري - ثم نستفيض منه إلى الأئمة الأربعة وأتباعهم وكرام أهل البيت وأصفياء الله لنبين آراءهم ومواقفهم من الصوفية والتصوف - رضوان الله عليهم أجمعين .

رأي الإمام الحسن البصري

فمن ذلك ما جاء عن الحسن البصري رضي الله عنه الذي اتفق أكثر المحققين من مؤرخي الإسلام على أنه أول من فتح الكلام في مذهب التصوف، وأول متصدر لنشر تعاليمه بالخصوص ، وهذا مما علم بالتواتر بين علماء السنة. قال العلامة ابن الحاج في جزئه الثاني من مدخله ما نصه :

إن الحسن البصري [1] رضي الله عنه هو أول من فتح الكلام في طرق القوم، وهو رضيع إحدى زوجات النبي ﷺ وآله . وهي أم سلمة رضي الله عنها، وقد قيل : إن المذهب كانت تعرف رجاله باسم المتصوفة من عهده ، وكان الحسن يجل ويحترم المنتمين لذلك الجناب ، ويشهد لهذا ما أخرجه أبو نصر عبد الله بن على الطوسي المتوفي سنة ٣٧٨ هـ في كتاب (اللمع) قال حاكياً عن الحسن البصري رضي الله عنه إني رأيت صوفياً في الطواف فأعطيته شيئاً فلم يأخذه ، وقال معي أربعة دوانق فيكفيني ما معي ، وكان الحسن يذكر ذلك على سبيل الإعجاب بحال ذلك الصوفي . وأظنك أيها الأخ لا تجهل مكانة الحسن البصري في الإسلام ومنزلته بين التابعين،

---

(١) لمزيد من الأدلة على علاقة الحسن البصري بالتصوف والصوفية راجع الصفحات الخاصة بالصوفية والجهاد من هذا الكتاب .

Marfat.com

وهذا النقل كما أنه جاء عن الطوسي جاء عن التجيبي أيضاً نقله عن (سيدي ابن عجيبة) في شرحه (المباحث الأصلية)، ومما يشهد أيضاً لعظمة المتصوفة والتصوف في نظر السلف ما يروي عن (سفيان الثوري) وهو من عظماء أئمة القرن الثاني ومجتهديهم قوله لولا (أبو هشام) الصوفي ما عرفنا دقيق الرياء . ومن ذلك ما ذكره عنه (ابن القيم الجوزية) في شرحه على منازل السائرين أنه كان يقول : أعز الخلق خمسة أنفس " عالم زاهد وفقيه صوفي وغني متواضع وفقير شاكر وشريف سني " .

رأي الإمـــام مـالك

فتأمل يرحمك الله قوله لولا (أبو هشام الصوفي) ما عرفت الرياء وهذا صريح في أخذه عن المتصوفة واحترامه لجنابهم ثم تأمل قول (الإمام مالك) في غير ما كتاب : " من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق "، ومن جمع بينهما فقد تحقق ، نقله عنه (التتائي في شرحه على مقدمه ابن رشد)، وكذلك (الشيخ زروق) ففي القاعدة الرابعة من قواعده قال: ونحن حيث تلقينا هاته القولة عن الإمام مالك من أوثق المصادر، اتضح عندنا يقيناً أنه رحمه الله كان صوفياً ، لا محباً للصوفية فقط وإلا لزم تسلط الحكم عليه، المستفاد من صريح قوله (ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق) برأه الله من ذلك. وهذه الصراحة من الإمام كافية في إعظامه لمذهب التصوف، **وكفى أنه جعله قريناً للفقه وأن الفقه بدونه عاطل ، كما أن التصوف بدون الفقه باطل**، وخلاصة القول: أن الإمام مالكاً رضي

Marfat.com

الله عنه، كان جامعاً بين التصوف والفقه. وهذا لا يستبعد من مقام الإمام ما دام التصوف عبارة عن صدق التوجه إلى الله عز وجل. نعم قد يقول القائل فلماذا لم يظهر عن الإمام نظير ما ظهر على غيره من المنتمين للتصوف (كالحارث المحاسبي) في ذلك العصر وطبقته؟ والجواب أن عذر الإمام (أي الإمام مالك رضي الله عنه) في ذلك : هو تفرغه وقيامه بما دعت إليه الضرورة من لزوم حفظ القواعد الفقهية وضبط النقول الشرعية، خصوصاً وهو يرى من نفسه الكفاءة للأمر الذي لم يتوافر لغيره غالباً، وكل ذلك لا يمنع أن يختص الإمام في خاصته وحد ذاته بما اختص به غيره من خاصة المتصوفة بأن تكون له المشاركة في علمهم ودقائق أسرارهم التي أمروا بعدم إفشائها لغير أهلها، وقد أثبت ذلك لنفسه حسبما نقله عنه (أبو إسحاق الشاطبي) في الجزء الرابع صحيفة ٣٦١ من كتاب (الموافقات) قال: " **وأخبر مالك عن نفسه أنه عنده أحاديث وعلوم ما تكلم فيها ولا حدث بها** " وقد ذكر الشيخ سحنون في تعليقه على الموطأ نقلاً عن القاضي عياض .

قال : " **وبلغ شيوخ الإمام مالك تسعمائة شيخ : ثلاثمائة من التابعين ، وستمائة من تابعيهم ممن اختاره لدينه وفقهه وتيقظه ، ولزم (ابن هرمز) كما في المدرك ثلاث عشرة سنة ، ويروي ست عشرة سنة من الصباح إلى الزوال في علم قال مالك لم أبثه لأحد من الناس** " . انتهى بلفظه.

وعليه فهل ترى أيها الأخ أن هذا العلم المخبر عنه هو من مدخول

Marfat.com

الفقه ، فما أظن إذ لو كان كذلك لما ساغ له كتمانه حيث إن الفقه في الدين يشترك في لزوم معرفته جميع المكلفين ويجل عن كتمانه العلماء الأعلام لما في طيه وكتمانه من التعرض لنقمة الله لحديث (من كتم علماً علمه الله إياه ألجمه الله بلجام من النار يوم القيامة) ، ولكنك تستبعد أن يكون للإمام مالك من العلوم الموروثة عن النبي ﷺ وآله ، غير ما دونه للعموم ، وهذا الاستبعاد إنما يتصور مع عدم الاطلاع على ما اشتملت عليه دفاتر السنة من النصوص المثبتة لنظير ذلك وإليكم ما أخرجه البخاري رضي الله عنه :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (حفظت عن رسول الله ﷺ وآله وعاءين من العلم أما أحدهما فقد بثثته فيكم وأما الآخر فلو بثثته لقطعتم منِّي هذا البلعوم). ولا شك أن هذا صريح في تأييد ما أخرجه الشاطبيَ وغيره عن الإمام مالك، وليس هذا الخبر مما ينفرد به أبو هريرة رضي الله عنه، ولا مما ينفرد بنقله البخاري أيضاً فإن المطلع لا تستعصي عليه النقول الصحيحة التي يستشهد بها في هذا الباب من أقوال السلف، وهذا ملخص للإمام من جهة علاقته بالتصوف.

كما يشهد لذلك ما أخرجه الشعراني في (اليواقيت والجواهر) ، وغيره من الحفاظ عن (ابن عباس رضي الله عنهما) : لو قلت لكم ما أعلم من تفسير قوله تعالى ﴿ الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن﴾ لرجمتوني ، أو لقلتم إني كافر[1]

---

(١) وبذلك استشهد الإمام الغزالي في كتابه (جواهر القرآن) على كتمان بعض العلوم ـ كما أن له كتاباً بعنوان (المضنون به على غير أهله) .

Marfat.com

ويترجم عن ذلك أيضاً ما يروى عن (الإمام علي زين العابدين بن الحسين) رضي الله عنهما حيث يقول :

يارُبَّ جوهر علم لو أبوح به ... لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي ... يرون أقبح ما يأتونه حسنا
إني لأكتم من علمي جواهره ... كي لا يرى ذاك ذو جهل فيفتتنا
وقد تقدم في هذا أبو حسن ... إلى الحسين وأوصى قبله الحسنا

وقد ذكره الإمام الغزالي في (منهاج العابدين) قلت : " وكل ما ورد في هذا الباب هو مصداق ما أخرجه الديلمي في مسند الفردوس عن رسول الله ﷺ وآله أنه قال " إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله فإذا نطقوا به أنكره أهل الغِرَّة بالله " .

موقف الإمام أبي حنيفة

أما ما ينقل عن (الإمام أبي حنيفة النعمان) رضي الله عنه في التصوف فليس هو بأقل من ذلك . ذكر (صاحب النصرة النبوية) وهكذا صاحب كتاب (أهل الفتوحات والأذواق) أن الإمام رحمه الله - كان محباً للصوفية محترماً لمكانتهم ولربما يوجد له من التساهل معهم ما لم يوجد لغيره من الأئمة . وكما ذكر : أنه سئل عما يفعله الصوفية في الحضرة وما يتظاهرون به . أهم صادقون في ذلك ؟

فأجاب " إن لله رجالاً يدخلون الجنة بدفوفهم ومزاميرهم " ، وما قال هذا رضي الله عنه إلا سداً لذريعة الاعتراض على المنتسبين إلى الله والله أعلم .

Marfat.com

ولا تفهم أيها الأخ أن غايتنا في إثبات هذا النقل الانتصار لشُبَه الدفوف والمزامير مما يفعله بعض الملتصقين بالقوم إنما الغرض هو أن نذكر لك كيف كان تساهل الإمام مع المنتسبين للتصوف ولو مع ارتكابهم لبعض المشتبهات، وهذا ما يخص أبا حنيفة رضي الله عنه باختصار .

موقف الإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل

وأما ما جاء عن **الإمام الشافعي رضي الله عنه فيزيد على ذلك بكثير حسبما نقل عنه في غير ما كتاب وممن تتبع ذلك الإمام الشعراني في غالب كتبه** فقال نقلاً عن الإمام : استفدت من مجالستهم أمرين لم أستفدهما من مشايخ العلم : قولهم : الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك، وقولهم أشغل نفسك بالخير فإن لم تشغلها بالخير شغلتك بضده . ذكره النووي في (شرح المهذب) وقال الشعراني : كثيراً ما كان الشافعي يوصي (الإمام أحمد) باحترامهم ومجالستهم أيضاً ويشهد لذلك ما جاء في كتاب (جامع مجالس الصوفية) " وكانا يحضران معهم في مجالس ذكرهم فقيل لهما مالكما تترددان إلى مثل هؤلاء؟ **فقالا لهم : إن هؤلاء عندهم رأس الأمر كله، وهو تقوى الله ومحبته** " . وكان الشعراني يقول : **كفى مدحاً إذعان الإمام الشافعي (لشيبان الراعي)** وكان لذلك قصة معروفة ، وكذلك ذكر الشعراني إذعان الإمام أحمد له بعد ما ذكر عدة حكايات جرت بينهما في مسائل علمية فلتراجعوا تلك المظان إن كانت لكم سعة من الوقت وطلبتم سعة من العلم والوضوح .

Marfat.com

وبالجملة إن إذعان أئمة الاجتهاد لرجال التصوف كان مشتهراً في ذلك العصر وعلى الأخص منهم الإمام الشافعي رحمه الله تعالى .

وقد ذكر الشيخ المختار الكنتي في كتابه (جذوة الأنوار) أن الإمام الشافعي كان كثير الالتجاء للأولياء ، متفانياً في حبهم ، وكان يقول هم أصلى وفصلي وإليهم يحن قلبي إلى أن رماه بعض المعتزلة بالرفض فقال مجيباً لهم :ـ

قالوا ترفَّضت غيرَ شكٍّ ما لرفض ديني ولا اعتقادي
لكن توليت غير شك خير إمام وخير هاد
إن كان حبُّ الولي رفضاً فإنني أرْفَضُ العباد

وقال في حب أهل البيت نظير ذلك معلناً إجلاله لهم :-

إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

ومن المعلوم أن أئمة الصوفية معظمهم من أهل البيت كالرفاعي والجيلاني والدسوقي والشاذلي وآل باعلوي في اليمن وسواهم وأن آل البيت هم أئمة الأئمة، وهداة الحق فيها إلى الله: من الصوفية الكرام وغيرهم، لقول رسول الله ﷺ وآله " تركت فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي: كتاب الله وعترتي " وفي رواية: (تركت فيكم ثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا، أما الثقل الأكبر: فهو كتاب الله تعالى: حبل ممدود بين السماء والأرض: طرفه بيد الله وطرفه الآخر بأيديكم، وأما الثقل الثاني فعترتي أهل بيتي. فقد أنبأني اللطيف الخبير بأنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ

Marfat.com

الحوض يوم القيامة)[1] .

وحيث صار من المعلوم أن كبار أهل التصوف قديماً وحاضراً إنما هم الأئمة من أهل البيت ، بدءاً من إمام الأئمة الإمام جعفر الصادق، ومن بعده الإمام الجنيد (وكان يسمى بسيد الطائفة)، ثم الإمام الرفاعي، فعبد القادر الجيلاني، وكان الشيخ ابن تيميه يجله بقوله (قدس الله تعالي سره) إذا ذكره ويقدره، ويستشهد بحاله في مكانة علماء الإسلام الأجلاء، كما يستشهد بأقواله في استقامة أهل التصوف السنِّيِّ. كما يجل الإمام الجنيد سيد الطائفتين (الفقهاء والصوفية) ومعروف الكرخي، والحارث المحاسبي، والسري السقطي وغيرهم (راجع المجلد العاشر والحادي عشر من فتاوى الشيخ ابن تيميه) . ففيهما تفصيل واسع ، وتفضيل جليل للتصوف والصوفية ، لذلك يعتبره بعض العلماء هو والشيخ ابن القيِّم الجوزية من الصوفية لسيرتهما وإنصافهما منهج التصوف الحق وأهله .

---

(١) رواه الترمذي والنسائي وأحمد والطبراني والحاكم بطرق عدة عن كثير من الصحابة، منهم جابر وزيد بن أرقم وأبي سعيد الخدري وزيد بن ثابت . وقد وثقه الحافظ الذهبي في تلخيص المستدرك جـ٣ ـ صـ ١٤٨ .

Marfat.com

المزيد من شهادات الأئمة
وأكابر العلماء والحفاظ من السلف
وآرائهم حول التصوف

Marfat.com

للعلامة المحقق الشيخ عبد القادر عيسى كتاب سماه (**حقائق عن التصوف**) نقل فيه شهادات وآراء أكابر العلماء والحفاظ حول التصوف والمتصوفة والصوفية ننقل بعضاً منها هنا تتميماً للفائدة وبغاية الاختصار والإيجاز :

١ ـ طريقة الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت (توفي سنة ١٥٠ هـ) :

نقل الفقيه الحنفي الحصفكي (صاحب كتاب الدُّرِّ المختار) : أن أبا على الدقاق رحمه الله تعالى قال : (أنا أخذت التصوف من الشبلي وهو من السري السقطي وهو من معروف الكرخي وهو من داود الطائي ، وهو أخذ العلم والطريقة من أبي حنيفة رضي الله عنه وكل منهم أثنى عليه وأقر بفضله) .

يقول ابن عابدين في (حاشيته على الدر المختار) عنْ الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى : (وهو فارس هذا الميدان ، فإنه بنى علم الحقيقة على العلم والعمل وتصفية النفس وقد وصفه بذلك عامة السلف) .

وقال الأستاذ عبد القادر عيسى : (لعلك تستغرب عندما تسمع أن الإمام الكبير أبا حنيفة النعمان رحمه الله تعالى ، يعطي الطريقة لأمثال هؤلاء الأكابر من الأولياء والصالحين من الصوفية . فهل تأسى الفقهاء بهذا الإمام فساروا على نهجه وجمعوا بين الشريعة والحقيقة لينفع الله بعلمهم كما نفع بإمامهم الأعظم الإمام الكبير معدن التقوى والورع أبي حنيفة رحمه الله تعالى) أ هـ .

Marfat.com

٢ ـ الإمام مالك بن أنس (توفي سنة ١٧٩ هـ) :

يقول الإمام مالك رحمه الله تعالى :-

(من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ، ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ، ومن جمع بينهما فقد تحقق) .

" نقلاً عن حاشية العلامة العدوي ، وشرح (عين العلم) للملا على القاري " .

٣ ـ الإمام الشافعي (توفي سنة ٢٠٤ هـ) :

ذكر الحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه " تأييد الحقيقة العلية " أن الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى قال : (صحبت الصوفية فلم أستفد منهم سوى حرفين ، وفي رواية سوى ثلاث كلمات قولهم : الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك ، وقولهم : " نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل " وقولهم : (العُدْم عصمة) أي الفقر عصمة للمرء من الترف المفضي للإسراف أو الانحراف " .

وذكر العجلوني في (كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس): أن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى قال: "حبب إلى من دنياكم ثلاث: ترك التكلف، وعشرة الخلق بالتلطف، والاقتداء بطريق أهل التصوف " .

٤ ـ الإمام أحمد بن حنبل (توفي سنة ٢٤١ هـ) :

نقل الإمام الشيخ أمين الكردي عن الإمام أحمد - في كتابه تنوير القلوب صـ ٤٠٥ أنه كان يقول لولده عبد الله قبل مصاحبة الصوفية :

Marfat.com

" يا ولدي عليك بالحديث ، وإياك ومجالسة هؤلاء الذين سموا أنفسهم بالصوفية ، فإنهم ربما كان أحدهم جاهلاً بأحكام دينه ؛ فلما صحب (أبا حمزة البغدادي الصوفي) ، وعرف أحوال القوم أصبح يقول لولده : يا ولدي . عليك بمجالسة هؤلاء القوم ، فإنهم زادوا علينا بكثرة العلم والمراقبة والخشية والزهد ، وعلو الهمة " .

ونقل العلامة محمد السفاريني الحنبلي رحمه الله تعالى عن (إبراهيم بن عبد الله القلانسي) رحمه الله تعالى : أن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى قال عن الصوفية: لا أعلم أقواماً أفضل منهم ... فقيل له : إنهم يستمعون ويتواجدون ... قال : دعوهم يفرحوا مع الله ساعة [1] ، قيل : فمنهم من يموت ، ومنهم من يُغشى عليه .. قال : " وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون " .

٥ ـ عبد القاهر البغدادي (توفي سنة ٤٢٩ هـ) :

الإمام الكبير حجة المتكلمين عبد القاهر البغدادي رحمه الله تعالى صَنَّفَ في مقدمة كتابه " الفَرْقُ بين الفِرَقِ " أهل السنة والجماعة إلى ثمانية أصناف فقال عن الصوفية :-

(والصنف السادس منهم: الزهاد الصوفية الذين أبصورا فأقصروا، واختبروا فاعتبروا ورضوا بالمقدور وقنعوا بالميسور، وعلموا أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك مسئول عن الخير والشر ، ومحاسب على مثاقيل الذر، فأعدوا خير الإعداد ليوم المعاد، وجرى كلامهم في طريقتي العبارة والإشارة على سمت أهل الحديث دون من يشتري

---

(١) راجع : غذاء الألباب شرح منظومة الآداب ج١ صـ١٢٠ .

Marfat.com

لهو الحديث (لا يعلمُّونه رياءً ولا يتركونه حياءً)، دينهم التوحيد ونفى التشبيه، ومذهبهم التفويض إلى الله تعالى والتوكل عليه والتسليم لأمره، والقناعة بما رزقوا والإعراض عن الاعتراض عليه ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ سورة الجمعة الآية ٤ أهـ.

٦ ـ الإمام الغزالي (توفي سنة ٥٠٥ هـ) :

حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي رحمه الله تعالى قال في كتابه : " المنقذ من الضلال " :

(ولقد علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصةً وأن سيرتهم أحسن السير، وطريقهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق ...) [1] أهـ.

٧ ـ الإمام فخر الدين الرازي (توفي سنة ٦٠٦ هـ) :

العلامة الكبير والمفسر الشهير الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى قال في كتابه " اعتقادات فرق المسلمين والمشركين " :

(والمتصوفة قوم يشتغلون بالفكر وتجرد النفس من العلائق الجسمانية ويجتهدون أن لا يخلو سرهم وبالهم عن ذكر الله تعالى في سائر تصرفاتهم منطبعون على كمال الآداب مع الله عز وجل، وهؤلاء هم خير فرق الآدميين) أهـ.

---

(١) ثم قال ولو اجتمع علماء الأرض على أن يغيروا من أخلاقهم شيئاً فلن يقدروا، لأنهم يستمدون أخلاقهم من مشكاة النبوة "وكتبه في التصوف مشهورة، فهو من كبارهم المشهود لهم (في الفقه والتصوف) حتى عدّوه شافعي عصره، كما هو المرجع الأكبر في التصوف السنيّ وتصوف الحكماء لصفاء قلبه وسيرته وحكمته (راجع كتابه الشهير ـ إحياء علوم الدين).

Marfat.com

٨ ـ العز بن عبد السلام (توفي سنة ٦٦٠ هـ) :

سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام . قال رحمه الله تعالى :

(قعد القوم من الصوفية على قواعد الشريعة التي لا تتهدم دنيا وآخرة وقعد غيرهم على الرسوم) قلت : وله كتاب في التصوف عن (الإنسان) كله عن التصوف وكيف يكون الإنسان خليفة الله فى أرضه. أهـ .

٩ ـ الإمام النووي (توفي سنة ٦٧٦ هـ) :

الإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي رحمه الله تعالى قال في رسالته " المقاصد " (أصول التصوف خمسة) :-

١ ـ تقوى الله في السر والعلانية .

٢ ـ اتباع السنة في الأقوال والأفعال .

٣ ـ الإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار .

٤ ـ الرضى عن الله في القليل والكثير .

٥ ـ الرجوع إلى الله في السراء والضراء) أهـ

١٠ ـ تاج الدين السبكي (توفي سنة ٧٧١ هـ) :

الإمام تاج الدين عبد الوهاب السبكي رحمه الله تعالى قال في كتاب (مفيض النعم ومبيد النقم) تحت عنوان (الصوفية) بعد شرح مستفيض وحديث عن تعاريف الصوفية (الحاصل أنهم أهل الله وخاصته ، ترتجي الرحمة بذكرهم ، ويستنزل الغيث بدعائهم ، فرضي الله عنهم وعني بهم ...) .

Marfat.com

١١ ـ جلال الدين السيوطي (توفي سنة ٩١١ هـ) :

العلامة الشهير جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي رحمه الله تعالى ، قال في كتابه " تأييد الحقيقة العلية " :

(إن التصوف في حقيقته علم شريف ، مداره على اتباع السنة ، وترك البدع ، والتبري من النفس وعوائدها وحظوظها وأغراضها وإراداتها واختياراتها ، والتسليم لله والرضى بقضائه وطلب محبته واحتقار ما سواه ...) .

١٢ ـ الشيخ محمد راغب الطباخ (توفي سنة ١٣٧٠ هـ) :

العلامة الكبير والمؤرخ المعروف الأستاذ محمد راغب الطباخ رحمه الله تعالى قال في كتابه " الثقافة الإسلامية " :-

(وقد تأملنا سيرة الصوفية في القرون الأولى من الإسلام ؛ فوجدناها سيرة حسنة جميلة مبنية على مكارم الأخلاق ، والزهد والعبادة ، قد قاموا في عصورهم بالواجب عليهم وإرشاد الخلق إلى الحق والدعوة إليه ، وصدهم الناس عن التكالب على الدنيا وجمع حطامها من أي وجه كان ، أو الاسترسال في الشهوات والملذات مما يؤدي إلى الانهماك في المحرمات والغفلة عن الواجبات وما خلق الإنسان له ، وتكون نتيجة ذلك انتشار الفوضى وظهور الفساد وكثرة الهرج والمرج) .

وأضاف رحمه الله تعالى :

(وإذا تتبعنا آثار الصوفية وتراجمهم نجد أن الكثير منهم قد كان

Marfat.com

للواحد منهم أتباع يعدون بالألوف من المنتسبين إلى أواصر الألفة وروابط المحبة وممن تواسوا فيما بينهم وتواصوا بالحق، وعطف غنيهم على فقيرهم، ورحم كبيرهم صغيرهم، فأصبحوا بنعمة الله إخوانا وصاروا كالجسد الواحد، وكانوا في منتهى الطاعة والانقياد لشيخهم يقومون لقيامه ويقعدون لقعوده، ويمتثلون أوامره ويتبادرون لأدني إشاراته ....) .

١٣ ـ أبو الحسن النـــدوي :

يقول أبو الحسن الندوي . (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ومعتمد ندوة العلماء بالهند) في بحث (الصوفية في الهند وتأثيرهم في المجتمع) من كتابه " المسلمون في الهند " : (إن هؤلاء الصوفية كانوا يبايعون الناس على التوحيد والإخلاص واتباع السنة والتوبة عن المعاصي وطاعة الله ورسوله ويحذرون من الفحشاء والمنكر والأخلاق السيئة والظلم والقسوة ويرغبونهم في التحلي بالأخلاق الحسنة والتخلي عن الرذائل : مثل الكبر والحسد والبغضاء والظلم وحب الجاه مع تزكية النفس وإصلاحها . ويعلمونهم ذكر الله والنصح لعباده والقناعة والإيثار وعلاوة على هذه البيعة التي كانت رمز الصلة العميقة بين الشيخ ومريديه أنهم كانوا يعظون الناس دائماً ويحاولون أن يلهبوا فيهم عاطفة الحب لله سبحانه وتعالى والحنين إلى رضاه ، ورغبة شديدة لإصلاح النفس وتغيير الحال ...) .

واختتم الأستاذ الندوي بحثه قائلاً :

(لقد كانت هناك بجهود هؤلاء الصوفية أشجار كثيرة وارفة الظلال

Marfat.com

في مـئـات من بـلاد الهند اسـتـراحت في ظلهـا القـوافل التـائـهـة، والمسافرون المتعبون، ورجعوا بنشاط جديد وحياة جديدة ...) .

١٤ ـ الشـاعـر : محمـد إقبـــال :

تحدث الأستاذ أبو الحسن الندوي في كتابه " روائع إقبال " عند زيارته للشاعر . فبعد أن أسهب الشاعر إقبال في الحديث عن التصوف ورجاله، والتجديد الإسلامي في الهند بواسطتهم، قال للأستاذ أبي الحسن الندوي: إنني أقول دائماً لولا وجودهم وجهادهم لابتلعت الهند وحضارتها وفلسفتها الإسلام ...) .

وراجع للشيخ السيد الندوي كتابه القيم عن التصوف والصوفية بعنوان (ربانية لا رهبانية) .

رأي ابن تيميه وتلميذه ابن القيم

ونختم رأي الأئمة الأربعة وهؤلاء العلماء الكرام برأي الشيخ ابن تيمية ورأي تلميذه الشيخ ابن قيم الجوزية، إذْ طالما تترس بهما أعداء التصوف والصوفية، وهما بَرَاء من ذلك ، فإنهما لم ينكرا التصوف من حيث المبدأ جملة وتفصيلاً، بل أنكرا شطحات الصوفية كشأن أعلام التصوف أنفسهم المار بيانها والدليل على ذلك أن الجزءين (العاشر والحادي عشر) من (فتاوى ابن تيميه) تتناول ماسبق بيانه، وقد أفرد أحد دعاة السلفية الحديثة الكاتب (جمال غازي) منها رسالة بعنوان (الصوفية والمساكين) ذكر فيها أن الشيخ ابن تيميه قال : (إن من الصوفية من يبلغ منزلة الصديقين) كما ورد في الجزء الحادي عشر من (الفتاوى) له .

Marfat.com

أما (**ابن القيم**) **رحمه الله تعالى** فقال في كتابه (شرح منازل السائرين) (الصوفية ثلاثة أقسام: صوفية الأرزاق ، وصوفية الرسوم ، وصوفية الحقائق ، وبدع الفريقين المتقدمين يعرفها كل من له إلمام بالسنة والفقه ... وإنما الصوفية صوفية الحقائق الذين خضعت لهم رؤوس الفقهاء والمتكلمين فهم في الحقيقة علماء حكماء) أ هـ .

فانظر رحمك الله وتأمل قوله (فهم في الحقيقة علماء حكماء خضعت لهم رؤوس الفقهاء والمتكلمين) في قولة شافية وصراحة كافية في إثبات شرف القوم الصوفية على غيرهم خصوصاً وقد قالها ابن القيم رحمه الله تعالى .

وفي كتاب (أصول الوصول) يذكر الشيخ / محمد زكي إبراهيم عن الشيخ ابن تيمية في صفحة ٣٣٠ ما يلي :

ابن تيميه يُنْصِفُ الصوفية

يقول الشيخ أحمد بن عبد الحليم بن تيميه حجة السلفية وإمامهم وفقيههم في كتابه (الفتاوى الكبرى) بالجزء الحادي عشر ، وبالصحيفة السابعة عشرة ، ما نصه : " **والصوفيون قد يكونون من أجَلِّ الصديقين ، بحسب زمانهم ، فهم من أكمل صديقي زمانهم ، والصديق في العصر الأول أكمل منهم .**

والصديقون درجات وأنواع ... الخ ، ثم يقول : ولأجل ما يقع من كثير منهم الاجتهاد والتنازع فيه، تنازع الناس في طريقهم، فطائفة ذمت الصوفية والتصوف وقالوا إنهم مبتدعون خارجون عن السنة وطائفة غالت فيهم، وادعوا أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء،

Marfat.com

وكلا طرفي هذه الأمور ذميم . والصواب : أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أجل طاعة الله ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين . وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ وفيهم من يذنب فيتوب . أولا يتوب " أهـ .

وهنا ننقل (نص) رأي الشيخ ابن تيميه ، في صحة كرامة الأولياء . من أواخر كتابه الذي سماه (العقيدة الواسطية) فهو يقول بالحرف الواحد : أيدهم الله بخوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات ، وبأنواع القدر والتأثيرات (تأمل ...) ثم يقول:

" والكرامات مأثورة عن أهل الله كما في سورة الكهف وسورة المائدة بالنسبة للحواريين - وسورة النمل بالنسبة للذي عنده علم من الكتاب وغيرها ، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين ، وسائر فرق الأمة ، وهي موجودة فيها إلي يوم القيامة " أهـ

وبعد . فهذا هو عين اعتقاد الصوفية الذي لا يعجب اليوم أتباع ابن تيميه المحدثين والذين يتجاهلون ما قرره أتباع شيخهم ، أو يكتمونه ، لإغراض في أنفسهم ، وإلا فليرجعوا إلى المجلدين رقمي (١٠،١١) من فتاوى الشيخ ابن تيميه فهما عن التصوف والصوفية) . إن كانوا يريدون الحق والرشاد .

وإلا فليمسكوا ألسنتهم عن الافتراء والتهجم على أهل الله .

Marfat.com

رأي علماء الإسلام المعاصرين وفتاواهم
في التصوف والصوفية

Marfat.com

هذه آراء كبار العلماء المعاصرين ومن هم أصحاب الرأي والفتوى (في التصوف والصوفية) ... وكان المؤلف قد استفتاهم حول الموضوع بأسئلة خطية وجهها إليهم ثم تفضلوا بالإجابة الوافية عليها وهم :-

١ ـ سماحة الإمام الأكبر الشيخ / محمد السيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف (وكان حينئذ مفتي الديار المصرية) .

٢ ـ سماحة الشيخ أحمد كفتارو المفتي العام للجمهورية العربية السورية .

٣ ـ سماحة الشيخ / محمد بن أحمد حسن الخزرجي ـ وزير الأوقاف والشئون الإسلامية السابق بدولة الإمارات العربية المتحدة ـ ومن كبار علمائها .

٤ ـ سماحة الشيخ نوح سلمان مفتي القوات المسلحة الأردنية .

٥ ـ سماحة المرحوم الشيخ / حسن خالد مفتي الجمهورية اللبنانية .

٦ ـ سماحة المرحوم الشيخ / السيد محمد عبد الرحمن آل أبو بكر بن سالم ـ مفتي جمهورية جزر القمر .

وتوجهت إليهم بالأسئلة الآتية :-

١ ـ ما مدى مشروعية التصوف ؟

٢ ـ ما رأي العلماء في السادة الصوفية الأوائل أمثال الجنيد البغدادي ، وبشر بن الحارث والحارث المحاسبي ، ومعروف الكرخي ، والشيخ عبد القادر الجيلاني ، والسيد أحمد الرفاعي وغيرهم من أعلام الأمة ؟

٣ ـ ما حكم من يكفر جميع الصوفية أو ينسبهم إلى الشرك ؟

٤ ـ هل للصوفية عقيدة خاصة تخالف وتجفو عقيدة أهل السنة والجماعة ؟

٥ ـ ما حكم التشهير بهم ؟

فتلقيت الردود التالية من كل منهم جزاهم الله عنا وعن الإسلام والحق خير الجزاء .

Marfat.com

رد دار الإفتاء المصرية

التصوف الحقيقي معناه: الحرص التام على الإكثار من ذكر الله ـ تعالى ـ وعلى أداء التكاليف التي كلف ـ سبحانه ـ بها عباده، وعلى تصفية الروح والقلب من كل ما يتنافى مع آداب الإسلام وعقائده، مع التقيد التام بقوله تعالى: ﴿ **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا، وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض، إن الله لا يحب المفسدين** ﴾ سورة القصص، الآية ٧٧ .

ورأى العلماء في السادة الصوفية الأوائل أمثال : الجنيد البغدادي ، وبشر بن الحارث ، والحارث المحاسبي ... وغيرهم .

أنهم كما قرأنا عنهم ـ رجال صالحون ، حافظوا على فرائض الله تعالى ، وعلى التحلي بمكارم الأخلاق وبذلوا ما بذلوا من جهود في سبيل نشر دعوة الحق وتذكير الناس بما يجب عليهم نحو خالقهم، ونحو أنفسهم ونحو غيرهم، وبنوا حياتهم على قوله تعالى : ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾ [1] ، وعلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله، آلا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾ [2]، وقد عاشوا حياتهم لنشر العلم والمعرفة ، على حسب فهمهم واجتهادهم .

وحكم من يكفِّر جميع الصوفية أو ينسبهم إلى الشرك، أنه إنسان

---

(١) سورة المائدة / ٢ .

(٢) سورة الرعد / ٢٨ .

Marfat.com

مخطئ وآثم لأن تكفير من ينطق بالشهادتين ومن لم ينكر أمراً ثبت من الدين بالضرورة لا يجوز ولا يليق بعاقل وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال رسول الله ﷺ وآله " إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما، فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه " وفي الصحيحين أيضاً عن أبى ذر رضي الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله ﷺ وآله يقول " من دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه " ، أي رجع عليه وفي حديث ثالث : " بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم " .

لا نعرف للصوفية الحقيقية التي هي بمعنى تطهير النفس وتزكيتها عقيدة خاصة تخالف وتجافي عقيدة أهل السنة والجماعة ، لأن الدعوة إلى تطهير النفس وتزكيتها ، من أركان عقيدة أهل السنة والجماعة ، وإذا وجد أناس ينسبون أنفسهم إلى الصوفية ولكنهم يقولون أو يفعلون ما يخالف عقيدة الإسلام وآدابه فالصوفية الحقيقية بريئة منهم وهم برءاء منها . لا يصح التشهير بالمنتسبين إلى الطرق الصوفية الذين يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والذين يحرصون على الاقتداء بالنبي ﷺ وآله ، في قوله وفعله ، والذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، والذين يجتمعون على طاعة الله تعالى وذكره .

ومن يشهر بمن هؤلاء حالهم ، فإنه يكون آثماً ، ومرتكباً لجرم عظيم يستحق عليه العقاب من الله تعالى ، والشأن في المسلم الصادق أنه يبني حياته مع أخيه المسلم على حسن الظن لا على سوء الظن .

وصدق الله إذ يقول : ﴿ يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن

Marfat.com

بعض الظن إثم، ولا تجسسوا، ولا يغتب بعضكم بعضاً، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه ، واتقوا الله إن الله تواب رحيم ﴿ سورة الحجرات الآية ١٢ .

كما أن من شأن المسلم الصادق أيضاً أن ينصح غيره بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأن يجادله فيما يختلفان فيه من أمور ، بالطريقة المهذبة والتي ترضي الله تعالى ، هذا وبالله التوفيق .

مفتي جمهورية مصر العربية

د . محمد طنطاوي

(١) إمام الأزهر الشريف حالياً

Marfat.com

التصوف: منهج يستهدف التمسك بالقرآن الكريم قولاً وعملاً وخُلقاً وسلوكاً قويماً مستهدياً بسنة رسول الله ﷺ وآله ومتأسياً بشريف أخلاقه الكريمة.

ولا بد من معلم حاز إجازة في التربية والسلوك ليدل المتعلم على أمرين هامين جداً :

الأول : تزكية النفس المشار إليها بقوله تعالى : ﴿ **قد أفلح من زكاها** ﴾ وكثرة ذكر الله تعالى المشار إليه بقوله تعالى ﴿ **والذاكرين الله كثيراً والذاكرات** ﴾ .

الثاني : معرفة الإحسان المشار إليه بقول النبي ﷺ وآله : " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " ، والذي دعا إليه القرآن بقوله تعالى ﴿ **كلا لو تعلمون علم اليقين ، لترون الجحيم** ﴾ .

كما أن التصوف هو اصطلاح نشأ في عصر المصطلحات حين أصبح كل فن وعلم له مصطلحات خاصة كاللغة العربية وقواعد النحو والفرائض وسائر العلوم والفنون إلى عصرنا الحاضر تعرف بمصطلحات خاصة تمهيداً لدراسة أي علم .

وكما يوجد في كل حرفة وكل علم وفن من لا يحسن الوصول إلى الهدف الأسمى ويعتبر دخيلاً على العلم أو الفن المقصود إتقانه، فيأتي الفقيه في ذلك العلم أو الفن، فيجلي الحقيقية وينفي الدخلاء والجهلاء ليميز الخبيث من الطيب .

كذلك التصوف ، منهم من يعاديه لأنه يجهله ومنهم من يطعن فيه

Marfat.com

لأنه عرفه عن طريق المزورين له أو الدخلاء الجهلاء بحقيقته الذين شوهوه بجهلهم به علماً وعملاً وسلوكاً .

أما التصوف بحقيقته وجوهره فسيبقى مزداناً بالثناء عليه ممن علمه وعلم رجاله الصادقين فى حقيقة العلم ،ولا يهاجمه إلا فئتان :-

* فئة لا تعلمه وتجهل حقيقة العلم وتجهل علماءه والعارفين به .
* وفئة تهاجم الدخلاء وما حشوا به أفكار العامة من أمور ومن أعمال وسلوك وبدع لا يقرها الشرع الشريف، ولا الفكر الإسلامي الصحيح .

أو ما دسه المغرضون الحاسدون في كتب التصوف قبل أن تظهر المطابع حيث كانت المؤلفات تكتب باليد (أي وينسخ منها باليد كذلك) .

أما آثار التصوف الحقيقي فقد استبان نهجها القويم وظهر أثرها في كثير من الفتوحات الإسلامية المجيدة، وفي آفاق مختلفة من شعوب العالم .

وتلك التربية السلوكية الأخلاقية عرف رجالاتها بمواقفهم البطولية في ميدان جهاد أعداء الإسلام ، كما عرفت آثار التصوف بمعرفة سلوك وأخلاق هؤلاء الصوفية المتحققين بمعرفة الله ومحبته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، ومن الدعاة ممن اصطفى الله وأخرج من النماذج من الأبناء الأبرار أبناء الإسلام الحقيقيين عبر الأجيال .

والتاريخ أكبر شاهد على هذه الآثار الحميدة ، فكان أهل التصوف الحقيقي السراج المنير في أخلاقهم وأعمالهم وسلوكهم ومعاملتهم للناس ﴿ **ولكل درجات مما عملوا** ﴾ الأحقاف/ ١٩ .

Marfat.com

وإذا نسب قول لأحد ، فالمرجع لا كلامه ولا قوله، ولكن المرجع هو الكتاب والسنة، وقد يكون ما نسب إليهم مدسوساً عليهم، وقد قال رسول الله ﷺ وآله : " من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد "، رواه البخاري ومسلم ، وفي رواية لمسلم : " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد " .

وبذلك يتبين أن المنهج هو القرآن الكريم والسنة المشرفة وعلى ضوء ذلك يكون كل من سلك هذا المسلك فقد تربى على حقيقة معرفة الله ومحبته وتطبيق كتاب الله والتأسي برسول الله ﷺ وآله، وأخلاقه المشار إليها بالقرآن الكريم ، فذلك ما عليه حقيقة أهل السنة والجماعة .

وأما التشهير والتكفير لمن ذكر فإنه يدخل تحت عنوان (سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر)، نسأل الله تعالى أن يجمع كلمة المسلمين على كتاب الله وسنته وما كان عليه سلفنا الصالح وأن لا نحكم على موضوع أو مبلغ خبر حتى نتحققه ونتيقنه ، كما قال الله تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا** ... ﴾ [1]، أما قولكم ما رأي العلماء في السادة الصوفية الأوائل أمثال : (الجنيد البغدادي ، و بشر بن الحارث ، و الحارث المحاسبي، و معروف الكرخي والشيخ عبد القادر الجيلاني، و السيد أحمد الرفاعي)، وغيرهم من أعلام الأئمة فمن المعلوم أن آثارهم تدل عليهم وقد قيل:

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

---

(١) سورة الحجرات / ٦ .

Marfat.com

وكما ذكرنا آنفاً فقد نشر الإسلام على أيديهم وعلى أيدي أتباعهم في مشارق الأرض ومغاربها ولا يحاربهم ليلا ونهاراً إلا دعاة التبشير وعملاء الاستعمار ، ولا يغمط حقهم أو يقصر في حقهم والثناء عليهم إلا من لم يدرس تاريخ الدعاة ولم يطلع على أعمالهم وآثارهم .

وقد أوضح (الشيخ أبو الحسن الندوي) رئيس ندوة العلماء في الهند وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق في كتابه الحديث ؛ (رجال الفكر والدعوة في الإسلام) نبذة يسيرة عن مسعاهم الخيِّر وآثارهم فقال في صفحة ٣٤٩ عنهم تحت عنوان (دعاة الإسلام ومشاعل الإيمان) :

" كان لهؤلاء فضل كبير لنشر الإسلام في الأمصار البعيدة التي لم تغزها جيوش المسلمين أو لم تستطع إخضاعها للحكم الإسلامي، وانتشر بهم الإسلام في أفريقيا السوداء وفي أندونيسيا وجزر المحيط الهندي وفي الصين وفي الهند، وفي سيبيريا وإلى شواطئ البحر المتجمد الشمالي " .

ويقول في هذا الكتاب أيضاً لما فتح التتار العالم الإسلامي في القرن السابع الهجري وأثخنوه جراحاً وقتلاً ولم يتركوا فيه إلا روحاً ضعيفة ونَفساً خافتاً، وفل سيف الجهاد والمقاومة فأصبح لا يؤثر ولا يعمل وأغمده المسلمون يأساً وقنوطاً، وآمن الناس بأن التتار لا يمكن إخضاعهم، وأن العالم الإسلامي قد كتب عليه أن يعيش تحت حكم هؤلاء الهمج وأن الإسلام انتهى ولا مستقبل له.

هنا قام هؤلاء الدعاة المخلصون الذي لا يزال تاريخ الدعوة والإصلاح على إحصائه واستقصائه - يجهل كثيراً منهم قاموا

Marfat.com

يتسربون في هؤلاء الطغاة من التتار يفتحون قلوبهم للإسلام حتى تفتحت له وأحبته وصاروا يدخلون في دين الله أفواجا ، ولم يمض على زحفهم على العالم الإسلامي وإذلالهم له كثير من الزمان حتى أسلم جلهم أو كلهم وصاروا من حملة الإسلام وحملة لوائه ورايته وكان منهم فقهاء وزهاد ومجاهدون .

أما رأي العلماء في السادة الصوفية الأوائل فنلخص طرفاً منه :-

أبو القاسم الجنيد بن محمد ذو الجناحين وإمام الطائفتين : (الفقهاء والصوفية) كان فريد زمانه ومن أعظم فقهاء الشريعة وأكابر أقطاب الحقيقة ، تفقه على أبي ثور ، وتصوف على خاله السري السقطي ، قال (الإمام السبكي) في جمع الجوامع : ونرى أن طريقة الشيخ الجنيد وصحبه طريق قوم مستقيمين لا اعوجاج فيه لكونه جامعاً بين (الأحكام الشرعية والأخلاق المصفية للقلوب) من أعراض النفوس الأمارة بالسوء ومن كلام الإمام الجنيد قوله : (**علمنا ومذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة**)، وقال أيضاً : (**الطريق كلها مسدودة إلا على من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام**) .

وقال (عبد الله بن خفيف) : اقتدوا بخمسة من شيوخنا الباقين وعد منهم (الحارث بن أسد المحاسبي و الجنيد بن محمد) لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق ، قال شيخ الإسلام زكريا في شرحه : (أي جمعوا بين الشريعة والحقيقة ومن جمع بينهما كَلَّمَ الناس بما تقتضيه أحوالهم) .

وجاء في كتاب (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء)، للحافظ أبونعيم أحمد ابن عبد الله الأصفهاني (الجنيد بن محمد الجنيد) :

Marfat.com

المـربي بفنون العلم، المـؤيد بعـيون الحلم، المنور بخالص الإيقان وثابت الإيمـان العـالم بمـودع الكتـاب، والعـامل بحكم الـخطاب، المـوافق فيه للبيان والصـواب، كـان كلامـه بالنصـوص مربوطاً، وبيـانه بالأدلة مبسوطاً، حيث فاق أشكاله بالبيـان الشـافي واعـتناقه للمنهج الكافي ولزومه للعمل الوافي) .

وجاء في كتاب (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء) للحافظ أبونعيم أحمد بن عبد الله شرح أحوالهم وأقوالهم من بيان علمهم وزهدهم وتصوفهم ومواعظهم وإرشاداتهم المؤثرة وعباداتهم وقيامهم الليل وتهجدهم .

كما أوضح مكانة الشيخ عبد القادر الجيلاني وأعماله في الإصلاح والإرشاد ونصرته للسنة الشريفة والمؤهلات العلمية التي حاز عليها بما يستبين به الحق لكل منصف ، مخلص ، باحث عن الحقيقة .

أما معروف الكرخي فقـد ترجم لـه في (حلية الأوليـاء) وفي (وفيات الأعيان) و (شذرات الـذهب) و (سير أعلام النبـلاء) وفي (طبقات الصوفية) بما فيه الكفاية .

وقال الإمام العلامة أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الفقى الحنبلي المتوفى سنة ٧٠٣ هـ في كتابه (أحسن المحاسن) ، عن معروف الكرخي : كان قد بادأه الله تعالى بالاجتباء في حال الصبا .

وقال السرى السقطي بحقه: هذا الذي أنا فيه إنما هو من بركات معروف وكان الجنيد يقول بحق عن السري السقطي: "ما رأيت أعبد لله من سري السقطي" .

Marfat.com

وكذا إذا نظرت إلى من تسأل عنهم ترى في كتاب العلامة الشيخ أبي إسحق الآنف الذكر ما يسرك .

وجاء في كتاب (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء) للحافظ أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ نبذة عن (**الحارث بن أسد المحاسبي**) بين فيها أقواله وأحواله مع الله ونبذة يسيرة عن مكانته أنقلها كما وردت: (كان الحارث المحاسبي لألوان الحق مشاهداً ومراقباً ولآثار الرسول ﷺ وآله مساعداً ومصاحباً ، وتصانيفه مدونة مسطورة ، وأقواله مبوبة مشهورة ، وأحواله مصححة مذكورة ، كان في علم الأصول راسخاً وراجحاً وعن الخوض في الفضول جافياً وجانحاً ، وللمخالفين الزائفين قامعاً ناطحاً وللمريدين والمنيبين قابلاً وناصحاً .

ومن أقواله : (**العلم يورث المخافة ، والزهد يورث الراحة ، والمعرفة تورث الإنابة من صَحَّح باطنه بالإخلاص والمراقبة زين ظاهره بالمجاهدة واتباع السنة**) لقوله تعالى : ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين**﴾ سورة الأحزاب/ ٧٣ .

ومن أقوال الجنيد : (**علمنا مضبوط بالكتاب والسنة ، ومن لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به**).

وجاء في كتاب الحلية المذكور : (**أبو نصر بشر بن الحارث الحافي** ، من حباه الحق بجزيل الفواتح وحماه عن وبيل الفوائح) .

ومن أقواله " لقي حكيم حكيما فقال أحدهما لصاحبه: لا يراك الله عندما نهاك ويفقدك عندما أمرك "أقول لو رجعنا إلى أقوالهم

Marfat.com

وأحوالهم مع الله لرأينا العجب العجاب وفي أقوالهم الروح والريحان والكثير الطيب ما يشرح الصدور.

أما (**الشيخ عبد القادر الجيلاني**) : قال بحقه شهاب الدين السهروردي : الشيخ عبد القادر سلطان الطريق .

وقال أبو عبد الله القرشي : الشيخ عبد القادر سيد أهل زمانه عارفين وأولياء وعلماء ومشايخ .

وقال الشيخ أحمد الرفاعي عنه : بحر الشريعة عن يمين الشيخ عبد القادر وبحر الحقيقية عن يساره أيهما شاء اغترف .

وبالإجماع فالشيخ عبد القادر الجيلاني كان يجلس في مجلسه الألوف وكانت تكتب في مجلسه ما يقول أربعمائة محبرة .

لقي أكابر الشيوخ وتلقى عنهم العلوم الشرعية ، وأعطاه الله المواهب وأوقع له القبول والهيبة وأظهر الحكمة من قلبه على لسانه ، وقصده الطلبة من العلماء والصلحاء ، وانتهت إليه تربية المريدين بالعراق وسلمت إليه أزمة المعارف ولقب بإمام الفريقين وموضح الطريقتين وتتلمذ له خلق كثير .

وقال له الشيخ العارف بالله يوسف الهمذاني: يا عبد القادر (تكلم على الناس) حفظت الفقه وأصوله ومسائل الخلاف والنحو واللغة وتفسير القرآن، فكيف لا يصح لك أن تتكلم، اصعد على الكرسي فإني رأيت فيك عرقاً سيصير نخلة .

وبالإجماع فالشيخ الإمام دليل الطريقة وترجمان الحقيقة أستاذ الشيوخ ، قدوة العارفين وعمدة السالكين وحصلت له المواهب

Marfat.com

وصار شيخ زمانه بلا نزاع ولا دفاع وانتهت إليه الرياسة في تربية المريدين يكفي في معرفته ـ كتاب العوارف ـ المشتمل على مكنونات المعارف ومصونات المحاسن واللطائف المشتملة على درر المعارف ويواقيت الحكم وما به من حياة القلوب وشفائها من السقم للشيخ شهاب الدين أبى حفص السهروردي (ص ٥٧٠) .

أما (**الشيخ أحمد الرفاعي**) ولادته سنة ٥٠٠ هـ إلى وفاته سنة ٥٧٨ هـ . جاء في كتاب شرح العينية لناظمها (عبد الله بن علوي الحداد باعلوي) - تأليف (السيد الشريف أحمد بن زين باعلوي) في ترجمته ما يلي :-

تاج العارفين شيخ الشيوخ صدر المقربين قطب الأولياء وإمام الأصفياء أحمد أبو العباس بن أبي الحسن الرفاعي .

وما قاله اليافعي عفيف الدين بحقه : والذي أدين الله به أن السيد أحمد بن الرفاعي الشريف الفاطمي الحسيني : كان جبلاً راسخاً ووليا عظيماً وبحراً من بحار السنة عجاجاً .

وقال بتقديمه وتقدمه رجال عصره كافة ومشى أكابر من قادة عصره تحت لواء إرشاده وانتهى إليه التواضع ومكارم الأخلاق وحسن التأسي والاتباع للنبي ﷺ وآله.

(وللإمام السيوطي) بيان واضح عن رفعة شأنه ، وبالإجماع فالشيخ أحمد الرفاعي ممن عرف قدره الحفاظ والأعيان ، وانتشرت طريقته وأحرز قصب السبق ، وكان جبلاً راسخاً في الاستقامة على الشريعة وفي التربية وتعليم الكتاب والحكمة وتزكية النفوس .

Marfat.com

وقد نفع الله على يديه خلقاً لا يحصيهم إلا الله وكان لخلفائه وتلاميذه فضل كبير في نشر الإسلام .

ومع ذلك فسير هؤلاء الذين تسأل عنهم وأمثالهم مبسوطة في الكتب المطولة مثل كتاب : (البداية والنهاية) لابن كثير ، وكتاب (حلية الأولياء) ، وكتاب (طبقات الصوفية) لأبي عبد الرحمن السلمي ، وكتابي (طبقات الشعراني وقلائد الجواهر) وفي كتاب (العبودية) لابن تيميه وفي كثير من كتب التراجم ، وفي كثير من الكتب الحديثة أوسعت البحث في مختلف نواحي حياتهم .

وما أجمل البحث عنهم بالتزام المعرفة بآثارهم ونتاج أعمالهم وشد الرحال للأقطار التي عمرت بهم ، وغني عن التعريف وجوب الإشادة بهؤلاء الأفذاذ الذين ملأوا الدنيا بأعمالهم النيرة وبمفاخر مساعيهم الحميدة في رفع لواء الدعوة إلى الله وكانوا الأئمة الأعلام في التزامهم شرع الله جهاداً في سبيله ودفاعاً عن دينه .

والله الموفق ،،،

مفتى ديار الجمهورية العربية السورية

الشيخ / أحمد كفتارو

Marfat.com

وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات العربية المتحدة

أولاً : لابد من معرفة التصوف لغةً واصطلاحاً ومن خلال أربابه وأساتذته : ورد في " الرسالة " للإمام العالم أبي القاسم القشيري قوله : " قال الأستاذ : (الصفاء محمود بكل لسان وضده الكدورة وهي مذمومة) ، وعن أبي جحيفة قال خرج رسول الله ﷺ وآله متغير اللون فقال : (ذهب صفو الدنيا وبقى الكدر فالموت اليوم تحفة لكل مسلم) .

قال الأستاذ : هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة فيقال رجل صوفي وللجماعة صوفية ومن يتوصل إلى ذلك يقال له متصوف وللجماعة المتصوفة ، وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس والأظهر فيه أنه كالقلب ، فأما قول من قال : أنه من الصوف وتصوف إذا لبس الصوف كما يقال تقمص إذا لبس القميص ، فذلك وجه ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف ، ومن قال إنهم منسوبون إلى أصحاب الصُّفَّة في صُفَّة مسجد رسول الله ﷺ وآله فالنسبة إلى الُصفة لا تجئ على نحو الصوفي .

ومن قال إنه من الصفاء فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة.

ثم إن هذه الطائفة أشهر من أن يحتاج في تعيينهم إلى قياس لفظ واستحقاق اشتقاق .

Marfat.com

وقد تكلم الكثيرون في التصوف ما معناه ؟ وفي الصوفي من هو ؟ فكلٌّ عبر بما وقع له واستقصاء جميعه يخرجنا عن المقصود وسنذكر بعض مقالاتهم فيه على التلويح ، وكما قال حجة الإسلام الإمام الغزالي، في " مقصده الأسني " : ولقد نبهت بالرمز والإيماء إن كنت من أهله ـ وأما أنت أيها الأخ الكريم المقصود بالشرح فلا أظنك إلا مستبصراً بسر الله في القدر مستغنياً عن هذه التحويمات والتنبيهات .

سئل أبو محمد الجريري المتوفي سنة ٣١١ هـ عن التصوف فقال : (الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق دني) .

وقال **محمد بن على القصاب** : (التصوف أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام).

وقال **معروف الكرخي**: (هم أهل بيت واحد لا يدخل فيهم غيرهم، والصوفي كالأرض يطرح عليها كل قبيح ولايخرج منها إلا كل مليح).

ويقول أبو سعيد الخراز المتوفي سنة ٢٦٨ هـ بعدما سئل عن الصوفي : (من صَفَّى رَبُّهُ قلبه فامتلأ قلبه نوراً ، ومن دخل في عين اللذة بذكر الله) .

ويقول جعفر الخلدي المتوفي سنة ٣٤٨ هـ : (الوصف طرح النفس في العبودية والخروج من البشرية والنظر إلى الحق بالكلية) .

وسئل الشبلي عن التصوف فقال : (بدؤه معرفة الله ونهايته توحيده)، ويقول الغزالي في كتابه الخالد (إحياء علوم الدين) المتوفى سنة ٥٠٥ هـ : (الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى

Marfat.com

ومهما حصل ذلك كان الله المتولي لقلب عبده والمتكفل له بتنويره بأنوار العلم ، وإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرَّة بلطف الرحمة وتلالأت فيه حقائق الأمور الإلهية فإذا ماحصل ذلكَ كَانت المشاهدة) .

حدثنا محمد بن عثمان بن كرامة حدثنا خالد بن مخلد حدثنا سليمان بن بلال حدثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن عطاء عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ وآله: " إن الله عز وجل قال :) من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته) .

وفي هذا الحديث تهديد لأن من حاربه الله أهلكه ، قال الفاكهاني : وهو من المجاز البليغ لأن من كره من أحب الله خالف الله ومن خالف الله عانده ومن عانده أهلكه ، وإذا ثبت هذا في جانب المعاداة ثبت ضده في جانب الموالاة فمن والى أولياء الله أكرمه الله .

وفي حديث أنس ومن أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً وهو مجاز وكناية عن نصرة العبد وتأييده وإعانته حتى كأنه سبحانه ينزل نفسه من عبده منزلة الآلات التي يستعين بها ولذا وقع في رواية : (فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي) .

Marfat.com

وعن أبي عثمان الحبري أحد أئمة الصوفية مما أسنده عنه البيهقي في الزهد قال معنى الحديث كنت أسرع إلى قضاء حوائجه من سمعه في الاستماع وعينه في النظر ويده في اللمس ورجله في المشي .

وفي حديث حذيفة عند الطبراني : " ويكون من أوليائي وأصفيائي ويكون جاري مع النبيين والصديقين والشهداء في الجنة " .

يقول (القسطلاني) في شرحه للصحيح ومناسبة الحديث للترجمة أي باب التواضع تستفاد من لازم قوله من عادي لي ولياً لأنه يقتضي الزجر عن معاداة الأولياء المستلزم لموالاتهم ، وموالاة جميع الأولياء لا تتأتي إلا بغاية التواضع إذ منهم الأشعث الأغبر الذي لا يؤبه له[1] . أو أن التقرب بالنوافل لا يكون إلا بغاية التواضع لله والتذلل له تعالى.

وأما عن الرأي في السادة الصوفية فيكفي الوقوف على سلوكهم ومعرفة أحوالهم من خلال طبقاتهم وتراجمهم وأنهم جمعوا بين الشريعة والحقيقة إذ يقول (ابن الملقن في طبقاته) : " فهذه جملة من طبقات الأعلام وأوتاد الأقطاب في كل قطر وأوان جمعتهم لأهتدي بمآثرهم واقتفي بآثارهم رجاء أن أنظم في سلكهم فالمرء مع أحب، وأحيا بذكرهم ويزول عني النصب " .

وحينما ذكر **الجنيد** قال : أبو القاسم شيخ وقته ونسيج وحده أصله من نهاوند ومولده ومنشؤه ببغداد صحب جماعة من المشايخ ودرس الفقه على (أبي ثور) وكان يفتى في حلقته بحضرته وهو ابن عشرين سنة ومن أقواله : (علامة إعراض الله عن العبد أن يشغله بما لا يعنيه).

---

(١) وفي الحديث: «رب أشعث أغبر ذي طمرين مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره» وفيه إشارة على خفاء كثير من أولياء الله على الناس، فالأدب مع أهل الله واجب .

Marfat.com

وقوله : " **من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة** " ، وقال : " **من طلب عزاً بباطل أورثه الله ذلاً بحق** " .

وقال : (الأدب أدبان أدب السر وأدب العلانية ، فالأول طهارة القلب من العيوب والعلانية حفظ الجوارح من الذنوب) .

وفي ذكر (**بشر الحافي**) يقول : (أحد رجال الطريقة ومعدن الحقيقة مَثَلُ الصلحاء وأعيان الورعاء) ، مناقبه جمَّة أفردها ابن الجوزي بالتأليف ومن أقواله : (لا تكون كاملاً حتى يأمنك عدوك وكيف يكون فيك خير وأنت لايأمنك صديقك) .

وقال : (ان العبد إذا قصر في الطاعة سُلبَ ما يؤنسه) ، أما (**معروف الكرخي**) (فهو أحد السادات مجابَ الدعوة وقبره ظاهر يتبرك به وأهل بغداد يستسقون به) .

قال **أبو عبد الرحمن الزهري** : (قبره معروف لقضاء الحوائج) ، من كلامه : (إذا أراد الله بعبد خيراً فتح له باب العمل وأغلق عليه باب الفترة والكسل) .

وقال (**السري السقطي**) سألت معروفاً عن الطائعين لله بأي شئ قدروا على الطاعة لله قال : (بخروج الدنيا من قلوبهم ولو كانت في قلوبهم ما صحت لهم سجدة) .

أما (**السيد أحمد الرفاعي**) فهو أبو العباس أحمد بن أبي الحسن على الرفاعي نسبة إلى جده السابع الحسن الأصغر الذي كان يلقب برفاعة والذي ينتهي نسبه إلى (علي بن أبي طالب كرم الله وجهه) .

Marfat.com

أستاذ الطائفة المشهورة كان من حقه التقديم فإنه أوحد وقته حالاً وصلاحاً فقيهاً شافعياً .

ومن كلامه : (من اشتغل بما لا يعنيه فاته ما يعينه والأنس بالخلق انقطاع عن الحق والأدب سنة الفقراء ووراثة الأغنياء) .

وسئل عن الفتوة فقال : (هي الصفح عن عثرات الإخوان وألا ترى لنفسك فضلاً على غيرك) .

وهكذا نعلم أن التصوف له ظاهر وباطن فظاهره استعمال الأدب مع الخلق بالأخلاق الحسنة معهم وباطنه منازلة الأحوال والمقامات مع الحق ، فالظاهر علامة الباطن والباطن حقيقة الظاهر ألا ترى أن النبي ﷺ وآله لما نظر إلى المصلى وهو يعبث قال :-

(لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه) ونختم بما قاله (أبو نصر السراج) : «أدب أهل الدنيا بالفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم والتاريخ والشعر ، وأدب أهل الدين معرفة العلم به ورياضة النفس وتأديب الجوارح وتهذيب الطباع وحفظ الحدود وترك الشهوات والمسارعة إلى الخيرات» .

وأدب أهل الخصوصية من أهل الدين حفظ القلوب ومراعاة الأسرار واستواء السر والعلانية) .

والله ولي التوفيق ،،،

وزير الشئون الإسلامية والأوقاف

دولة الإمارات العربية المتحدة

الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ حسن الخزرجي

Marfat.com

القيادة العامة للقوات المسلحة الأردنية
مديرية الإفتاء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين من نوح علي سلمان إلى أخيه في الله السيد يوسف بن السيد هاشم بن السيد أحمد الرفاعى حفظه الله تعالى .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :-

وصلتني رسالتكم الكريمة التي تسألني فيها عن التصوف والصوفية. وقبل أن أجيب عليها أبين للأخ الكريم أنني لست " علامة " كما ظننتني بل طالب علم ، ولا أقول هذا تواضعا بل هي الحقيقة أحب بيانها حتى تكون على بينة من الأمر ، وكلمة " علامة " كبيرة علي جداً .

وأما الصوفية فإن مثلي لا يسأل عن مثلهم ففيهم أعلام الأمة المشهود لهم بالخير والزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله ، ونحن في زمن الفتن التي يبيع فيها الإنسان دينه بعرض من الدنيا قليل ، ونسأل الله حسن الختام ، ولكن نزولاً عند رغبتكم أستعين بالله وأذكر لمعاليكم ما أعتقده في الموضوع .

١ ـ أما مدى مشروعية التصوف :

فيجب أن نحدد أولاً معنى التصوف : وقد عرفه بعض علمائه بأنه : العمل بالعلم وقال لو أن الفقهاء عملوا بعلمهم لكفونا .

وعرفه بعضهم بأنه قلع الأخلاق الذميمه وغرس الأخلاق الحميدة ،وهو ما يسمى بالتخلية والتحلية ، وعرفه بعضهم بأنه الأخلاق فمن

Marfat.com

زاد في الأخلاق زاد في التصوف ، فهو بهذا أسلوب تربوي فيه تطبيق الأحكام الشرعية الظاهرة والباطنة والأساليب التربوية تختلف في الطريقة والمقصود واحد، وهذا ما نجده في كتبهم ، فإذا فهمناه بهذه المعاني لا يشك مسلم بأنه خير وبركة وعمل يقتضيه الإسلام ، ولا يهمنا بعد ذلك من أين جاءت كلمة (تصوف) ، ولكن لا ننكر بأن البعض انحرف في فهم التصوف فجعل فيه حلولاً (واتحاداً) وإباحية وسقوطاً للتكليف وكلاماً لا يقره الإسلام وهؤلاء يجب التبري منهم فهم ليسوا مسلمين أصلاً والدفاع عنهم دفاع عن باطل ، وتأويل كلامهم إقرار خفي بما يقولون ، وهم الذين شوهوا التصوف ولولاهم لما تجرأ أحد على ذم أهل التصوف فهم أول أعداء التصوف .

٢ ـ أما الإمام الجنيد البغدادي ، والشيخ عبد القادر الجيلاني والسيد أحمد الرفاعي فهم أعلام الأمة وبمراجعة كتب التراجم يظهر ما كان لهم من شأن كريم وتقدير عظيم عند علماء الأمة المعاصرين لهم واللاحقين رضي الله عنهم أجمعين ونفعنا بحبهم آمين .

٣ ـ الذي يكفر كل الصوفية وينسبهم إلى الشرك متعجل في حكمه ولو تريث لفرق بين صالحهم وطالحهم وصادقهم والمدعي فيهم ، فالذم جملة خطأ والمدح جملة خطأ والتفصيل أولى ولا أريد التفصيل في ذكر الأشخاص بل ذكر جملة العقائد ، فيقال من اعتقد كذا فهو محق ومن اعتقد كذا فهو مبطل . إلا أن يكون رجلاً جاهر بالضلال فيذكر ليحذر ويذكر معه الصالح ليتبع .

٤ ـ أما عقائد أهل التصوف فهي عقائد أهل السنة والجماعة ومنهم من يسلك في فهم العقيدة مسلك الحنابلة ومن هؤلاء الإمام الشيخ

Marfat.com

عبد القادر الجيلاني في كتابه (الغنية) ومنهم من يسلك مسلك الأشاعرة ومنهم الإمام الغزالي ، والحنابلة والأشاعرة والسلفية من دقق في عقائدهم وجد الأمر قريباً وهو اختلاف في طريقة التعبير عن الشيء الواحد أو وجهتا نظرٍ لكل منهما ما يبررها ، وتنزيه المولى عما لا يليق به محل اتفاق ومن أحب الخلاف نفخ في هذه المسائل فكبرها ونحن نعتقد بالجميع الخير .

٥ ـ لا يجوز التشهير بالمسلمين ولا الافتراء عليهم ولا تصديق كل ما يقال عنهم ، وإذا قدمنا حسن الظن بالمسلمين اتضحت لنا الأمور وحملناها على محمل حسن وعندها يكون التشهير بأهل الكفر الصراح لكي يتجنبه الناس ويحذروا المزالق التي وقعوا فيها .

ونحن بحاجة إلى تنقية الصفوف ورصها وفي سبيل ذلك لا بد من الاتفاق على نبذ الذين حرفوا الدين وشوهوا سمعة المسلمين وعقائدهم .

ولو توفر الإنصاف وتخلينا عن حب الظهور والعصبية بالباطل وتذكرنا قوله تعالى : ﴿ **ستكتب شهادتهم ويسألون** ﴾ لهان الأمر وأمكن الاتفاق ، لكن يبدو أننا وصلنا إلى الزمن الذي قال عنه المصطفى ﷺ وآله : (... إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع عنك العوام ...) .

ولا شك أن الغلو من جهة يؤدي إلى التطرف من الجهة الأخرى والله المستعان ، وقد ظلم التصوف من طائفتين : الأولى طائفة الذين شوهوه بأفعالهم وشطحاتهم ودعاويهم والثانية طائفة الذين فهموه

Marfat.com

على أنه أفعال وعقائد وشطحات أولئك المشوهين فذموا كل أهل التصوف وسبوا الصالح والطالح معاً .

ولا حول ولا قوة إلا بالله ، لكن من طلب الحق بصدق هداه الله إليه ...

نسأل الله أن يهدينا سواء السبيل .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

نـــوح علـى سلمـــان

مفتي القوات المسلحة الأردنية

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مفتي الجمهورية اللبنانية

تناول كثير من العلماء والمفكرين الحديث في التصوف والصوفية وأصل هذه النسبة كما تكلموا في منزلة بعض المتقدمين منهم والمتأخرين من الإيمان والكفر، وإتيان الصواب والخطأ في أقوالهم وأفعالهم وفي طريقتهم ومدى ماهي عليه من المجافاة أو الموافقة لما عليه أهل السنة والجماعة .

وإني إذْ أجيب على أسئلتكم المطروحة، أدرك أني لن أزيد في جلاء صورتها ولا في توضيح الملابسات التي حفت أو تحف بها وأن كل ما سأقوم به هو تلبية حاجة معاصرة تتطلب العودة إلى مثل تلك المعالجات للحالات الاجتماعية والسلوكية الحديثة الشبيهة بما كان لأولئك المتصوفة من سلوك ونهج .

وقد ثبت أن لفظ " الصوفية " وما يشتق منه في المعنى المستخدم فيه لم يكن متداولاً في تعابير العلماء قبيل مطلع القرن الرابع الهجري ، وكان قد انتشر ظل أولئك الصالحين من العاملين ومن ذوي الرأي الحكيم والفكر السليم والرواية والدراية من الصحابة والتابعين وأتباعهم ممن اقتصوا أثرهم واتبعوهم بإحسان ، وكثيراً ما كانت تقع لهم الكرامات الربانية وتظهر منهم وعليهم سيما الولاية ومظاهر النصرة من الله ، وليس هذا مقام سردها وبيان جلالها وروعتها .

ولم ينقل عن أحد من المؤرخين وكاتبي السير ورواتها، أنهم تصوفوا أو اتخذوا لأنفسهم صفة " الصوفية " وإن كانوا سَمَوْا في

Marfat.com

سلوكهم إلى مراتب لاتداني من الخشوع لربهم والخشية منه فكثير منهم البكاؤون والراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله الذين كانت تقشعر جلودهم وقلوبهم لذكر الله .

وإن إمام هؤلاء جميعاً رسول الله ﷺ وآله ، وسيد الأولين والآخرين ونبراس المتقين والصالحين والسالكين ، لم يعرف عنه إصراره على شئ من تلك الأوصاف، ولا أنه اتخذ لنفسه ما اتخذه رجال التصوف من الأسماء والألقاب والصور والأشكال. اللهم إلا ما تُلَقَّبُ به العبادةُ المشروعةُ وإلا ماأحله الله من الملبس والمظهر والأوصاف والأسماء ولم يقل أحد من السابقين الأولين ولا أتباعهم ولا من المتأخرين أن أولئك الصوفية أعرف من الرسول ﷺ وآله ، أو من صحبه من بعده بما يقرب إلى رضوان الله ويبعد عن سخطه أو بما يغني النفوس ويحيي القلوب من أقوال وأفعال أو من أشكال أو أساليب التعبد ، ولا أنهم كانوا أحسن سلوكاً أو أهدى سبيلاً .

من أجل هذا فإنا إذا شئنا تحديد مشروعية التصوف في الإسلام لم يكن بمقدورنا التغافل عن المعاني التي طرحناها من قبل ، ويكون التصوف في نظرنا أسلوباً اجتهادياً من أساليب ممارسة العبادة الدينية في الإسلام، ومذهباً من مذاهب التدين وتطبيق شرع الله وتعظيم حرُماته وشعائره،والتقرب إليه بالنوافل والطاعات حتى الفوز بمحبته ورضاه لا يحيد قيد شعرة عما جاء في الكتاب أو عما بينه الرسول ﷺ وآله بقوله وفعله لأن من يرى أن طريق هؤلاء الصوفية أو النساك هو أفضل من طريق الصحابة وتابعيهم مبتدع ومخطئ، وذلك أن طريق

Marfat.com

رسول الله ﷺ وآله وصحابته من بعده هي طريق التوسط وهي الطريق المثلى التي جعل الله تعالى المؤمنين عليها وبينها ﷺ وآله لأولئك الثلاثة الذين تَقَالُّوا عبادته صلي الله عليه وسلم إلى عبادتهم عندما عزم أولهم على صوم الدهر كله، وثانيهم على قيام الليل كله وثالثهم على العزوف عن النساء، وإذ قال لهم: " إني والله لأتقاكم لله وأخشاكم له، ولكنى أقوم الليل وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني "، وهي الطريق الواضحة التي ثبتها الله تعالى بقوله: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا**﴾(١)، وبقوله: ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم**﴾ (٢) وقوله ﷺ وآله " إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم " .

هذا وإن أفضل الأمم أمة محمد ﷺ وآله لقوله تعالى : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾(٣)، وقوله: ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا**﴾(٤)، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ وآله قوله : " خير القرون القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ".

وإن جمهور العلماء متفقون على أن أفضل السابقين الأولين هم الخلفاء الأربعة وأن أفضلهم أبو بكر وعمر ، كما اتفقت طوائف أهل السنة والجماعة على أن أفضل الناس من أمة محمد بعد محمد ﷺ وآله هم الخلفاء الراشدون .

هذا وإن أفضل أولياء الله عند الله هو أحسنهم إدراكاً واتباعاً لما جاء به محمد ﷺ وآله قولاً وعملاً ، ولهذا فإن كمال الواصلين إلى

---

(١) سورة البقرة / ١٤٣ .
(٢) سورة التغابن / ١٦ .
(٣) سورة آل عمران / ١١٠ .
(٤) سورة فاطر / ٣٢ .

Marfat.com

مقامات الولاية مستمد من اتباعهم لرسول الله وانتهالهم من معينه الصافي علماً وأدباً ، وإن عدم حصول بعض الكشوف لأحدهم ، أو عدم تسخير شئ من الكونيات لهم لا يزيد أو ينقص في مرتبته عند الله ، ولا يغير من حقيقة الواقع شيئاً لأن الصالح صالح حصل له الكشف أو لم يحصل ، والفاسد فاسد حصل له الكشف أو لم يحصل، وإن كان مُسَلَّماً عندنا أن التدين القوي والتقوى العامرة بالخشية من الله المزينة بالسلوك الحسن والشمائل الرفيعة يمهدان لكثير من ظهور الكرامات على المتلبس بهما وذلك طبقاً لقوله تعالى : ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ (٣) وقوله تعالى : ﴿ **إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا** ﴾ (٤)، وقوله تعالى : ﴿ **ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا** ﴾ (٥) ... الخ ، ما هنالك من الآيات الكريمة الدالة صراحة أو تلميحاً على أن العمل الصالح والتقوى الخالصة يقربان إلى الله ويهبان للعبد من مظاهر رضوان الله وتكريمه في الحياة الدنيا ، ما لم يكن له حسابه وتقديره ، وحسبنا توضيحاً قوله ﷺ وآله عن ربه في الحديث القدسي : " من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش ، وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت في شئ أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه " .

---

(٣) سورة الطلاق / ٢ ـ ٣ .
(٤) سورة الأنفال / ٢٩ .
(٥) سورة الطلاق / ٤ .

Marfat.com

كما كان كثيرٌ من الكفار والملحدين والوثنيين الخارجين على منهج الحق وسنن الأنبياء والمرسلين والخارجين على عقيدة الإسلام ومناهجه الصحيحة ممن عرفوا في التاريخ وفي هذا العصر الحديث في الشرق والغرب يقع لهم أو يملكون أن يوقعوا إذا شاءوا بقدرات يملكونها فيصنعون الكثير من الخوارق ، وعجائب التصرفات ، ومع ذلك فإن هذا لا يغير من حقيقة معتقداتهم الفاسدة شيئاً ، ولكن الفرق بين هؤلاء وأولئك واضح وهو أن هؤلاء تحصل لهم هذه الخوارق والعجائب بمساعدة من قوى أرواح شريرة من الشياطين وأعوانهم ، وأولئك تقع لهم بفضل الله وتكريم منه .

وأحب هنا أن أذكر بأن ما سلكه بعض من نسبوا أو انتسبوا إلى الصوفية من السابقين للخيرات أو المقتصدين ممن اختاروا هذا المذهب في تطبيق الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكا ، لم يختاروه على أنه أفضل مما كان عند رسول الله ﷺ وآله وعند صحابته ، بل اختاروه على أنه سلوك في الطريق ذاتها مع شيء من التصرف الاجتهادي الذي لا يسيء طلبه ولا يعدل بهم عن أصوله وحدوده .

وإن المغالاة في الزهادة والرهبنة والقول بأن السعي وراء الكسب حرام لايحل إلا عند الضرورة لأنه ينفي التوكل أو ينقص منه [1] . والانقطاع في المغارات وأعمال الصحاري ، ولبس المرقعات ، وكشف الرؤوس ، وتغسيل الشعر وحمل الحيات ، والنوم في المقابر وعند الأضرحة والصمت الدائم ، ولبس الصوف والتصوف في طاعة الشيوخ وتعظيمهم أحياءً وأمواتاً إلى حد منحهم بعض امتيازات

---

(١) الاكتساب في الرزق المستطاب لمحمد الشيباني ١٨ .

Marfat.com

الألوهية وصفاتها ، والوقوف في الحلقات للذكر مع الطبول وضرب الدفوف وغيرها ليست بصورة عامة إمارات صلاح ، ولا وسائل طاعة وقربى إلى الله . بل إن بعضها قد يكون خطراً على العقيدة وسلامتها إذ يخشى أن يكون سبباً للانحراف بها عن الحق .

وهكذا فإن التصوف يمكن أن يكون في حدود ما شرعه الله ، وفي حدود ما جاء به رسول الله الكريم ما لم يحل حراماً أو يحرم حلالاً ، وما لم يمكن فيه ابتداع لسلوك أو عبادة تتعارض مع نص أو مع ماتفق عليه جمهور علماء المسلمين ، وما دام المتصوف مستلزماً بالأركان مقيماً للشعائر محلاً للحلال ومحرماً للحرام ، ومعتقداً بصورة عامة بمنهج الرسول ﷺ وآله وصحبه من بعده وتابعيهم ومن لحقوا بهم بإحسان ، فهو مسلم مؤمن يحسن أجره ويطيب ثوابه ، وربما رقي بإيمانه وسلوكه إلى درجة الصالحين والمقربين .

ولا يمكننا أن نقول إن التصوف على ما عليه المنتسبون إليه وعلى اختلاف طرقهم مشروع على إطلاقه ، لأن فيه كما أشرنا من قبل مايتفق مع الإسلام وماتقره شريعته ، وما لا يتفق وفيه ما يرضاه وماينكره ، وقد أحسن كثير من المتصوفة بالتزامهم حدود ما أنزل الله وحدود آدابه ، وغالى الكثيرون منهم أيضاً وانحرفوا وضلوا وأضلوا . ولذلك فإنه لا بد من تناول كل طريقة وكل صوفي وشيخ وما يحمل من فكر وعقيدة وتشريع وأدب ، ومناقشته في ضوء الكتاب والسنة ، وفي ضوء ما كان عليه السابقون الأولون من الاعتقاد والسلوك.

وإن السادة الصوفية الأوائل من أمثال الجنيد البغدادي، وبشر بن الحارث والحارث بن أسد المحاسبي، ومعروف الكرخي،

Marfat.com

وعبد القادر الجيلاني والسيد أحمد الرفاعي، وغيرهم هم من الذين سبقوا فولجوا هذا الطريق وأخذوا بأساليب المتصوفة واشتهروا بها، ومع ذلك لم يقل أحد منهم بأن لهم الحق في ابتداع مايخرج عن منهج النبي ﷺ وآله وحكمة (النبيين وسنن المرسلين) وسنن السابقين الأولين المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، **وقد روي عن الفضيل بن عياض أنه فسر قوله تعالى ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾[1] أخلصه وأصوبه ذلك لأن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل. والخالص أن يكون لله وحده والصواب أن يكون على النهج الذي بينه الله في كتابه والرسول ﷺ وآله في سنته.**

على أنه من مراجعة كتب التراجم وسير الرجال التي وضعها العلماء المنصفون المتقون، لم نطلع على ما يعاب على أحد من هؤلاء في عقيدته أو دينه أو سلوكه وإن صاحب طبقات الأولياء، والرسالة القشيرية، وصفوة الصفوة وغيرهم استعرضوا سيرهم وأوسعوا الحديث عن صادق هدايتهم وحكيم أقوالهم وبعض ما كان لهم من كشوف وكرامات، **وقد تتبعنا بالذات ما كتبه عنهم العلامة ابن تيميه وما نقله عن بعضهم في كتابه (مجموع الفتاوى وكتابه الاستقامة) لما نعرفه عنه من شدة في هذه الأمور وتمحيص في النظر فرأيناه ينقل عن الجنيد قوله (علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن ولم يكتب الحديث لا يصلح أن يتكلم في علمنا)[2]، ثم يصفه في موضع آخر بقوله: (بخلاف الجنيد فإن الاستقامة والمتابعة**

---

(١) سورة الملك / ٢ .

(٢) مجموعة الفتاوى ١١ ، ٥٩٥ .

Marfat.com

غالبة عليه [1]) ، ثم يثني عليه وعلى أمثاله من علماء وكبار المتصوفة في معرض نقده الشديد لابن عربي، فيصفهم بأنهم من مشايخ أهل الكتاب والسنة ويدعو لهم بالرضوان من الله ذاكراً الفضيل بن عياض وإبراهيم بن أدهم وأبا سليمان الداراني ومعروفاً الكرخي، والجنيد بن محمد وسهل بن عبد الله التستري والشيخ عبد القادر الجيلاني والشيخ عدي والشيخ أبا مدين والشيخ أبا البيان [2]، وينقل عن سهل بن عبد الله التستري قوله: (كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل)، وقوله : (كل علم على ابتداع فإنه عذاب على النفس وكل عمل بلا اقتداء فهو غش للنفس) [3]، ويتحدث عن الشيخ السيد أحمد الرفاعي فيقول : (وأما كشف الرؤوس وتغسيل الشعر وحمل الحيات ، فليس هذا من شعار أحد من الصالحين لا من الصحابة ولا التابعيين ولا شيوخ المسلمين ولا المتقدمين ولا المتأخرين ولا الشيخ أحمد الرفاعي ولا غيره وإنما ابتدع هذا بعد موت الشيخ أحمد بمدة طويلة ، وابتدعته طائفة انتسبت عليه فخالفوا طريق المسلمين وخرجوا من حقائق الدين وفارقوا طرق عباد الله الصالحين) [4]، ولا ينجو بعض اتباعه من حملة شديدة ربما بسبب أخطاء فادحة وقع فيها بعض من انتسبوا إلى طريقته ، ثم نقل عن أبي يزيد البسطامى أنه قال : (لو رأيتم الرجل يطير في الهواء ويمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف وقوفه عند الأوامر والنواهي) .

وهكذا فإنه يمكننا الخلوص إلى القول بأن المذكورين الذين تسألنا

---

(١) مجموعة الفتاوى ٤٩٤ .
(٢) مجنوعة الفتاوى / ٦٠٤ جـ١١
(٣) مجموعة الفتاوى / ١١، ٥٨٥ .
(٤) مجموعة الفتاوي / ٤٩٤ / ١١ .

Marfat.com

عن بيان الرأي فيهم ، في سلوكهم ومعتقداتهم هم من المشهود لهم بسلامة العقيدة والصلاح والعلم والمشهود لهم أيضاً في الانصراف عن الدنيويات والزهادة فيها حباً لله وانشغالاً بآياته الربانية ، على أنه لا يجوز إطلاق الحكم على المتصوفين جميعهم بالكفر لمجرد أنهم متصوفون كما أنه لا يجوز إطلاق الحكم عليهم جميعاً بالصلاح والولاية لمجرد أنهم متصوفون بل ينبغي من خلال عرضها على الكتاب والسنة ، فإن وافقتها فنعمت هي السيرة والأقوال والمعتقدات وإلا فيمكن إصدار الحكم عليها وعلى صاحبها في ضوء ذلك .

ولقد قرأنا لكثير من هؤلاء وهؤلاء ، وتبين لنا أن منهم من خلط عملاً صالحاً بآخر سيئ ، ومنهم من انحرف ، ومنهم من استقام حتى كان في سلوكه وعقيدته وقوله مثلاً رائعاً في النقاء والصفاء وحسن السيرة ، فهم بشر ممن خلق الله ، وعلى الناس ، وأتباعهم بالذات ألا ينجرفوا وراءهم على عمي وغير هدي ، بل بعد مناقشة ومحاكمة ودراسة ، وبخاصة عندما ينحرف أحدهم مع هواه ، ويسقط في بعض مغريات النفس وأضاليل الشيطان فيقع في الكذب أو النفاق أو الاحتيال أو الابتزاز ، ويطلب من اتباعه من المطالب ما لا يتفق مع منهج الإسلام وما يوردهم موارد الزيغ والضلال مثل أن يتوجهوا إليه بالاستشفاع أو الاستغاثة أو الدعاء كما يستغيثون بالله ويدعونه فإن مثل هذه الأمور هي ضروب من التغرير بالناس وتضليلهم لاستغلالهم وابتزازهم يستحلون بها بعض ما حرم الله ويخرجون بها عن مناهج الأنبياء والمرسلين والصالحين من عباد الله كما أن فيها انحرافاً عن الاعتقاد السليم وسقوطاً في متاهات الزندقة أو الشرك ، فقد كان

Marfat.com

الصحابة رضوان الله عليهم يراجعون رسول الله ﷺ وآله ويسألونه وينصحون له ويستنصحونه ، وكانوا يناقش بعضهم بعضاً ويراجع بعضهم بعضاً ولذلك فإنه يلزم من يطلع على مثل هذه التصرفات المبادرة إلي إنكارها والتبرؤ منها ومن الداعي إليها ومن معتقداته وسلوكه ومطالبته بالتوبة عنها والعودة إلى النهج القويم ، وفي حال إصراره عليها الاستعانة بأولى الأمر لوضع حد لذلك حسبما تقتضيه أحكام الشريعة الغراء ، وتنبيه الغافلين إلى فساد تلك التصرفات والمعتقدات خوفاً من انخداعهم وتأثرهم بها .

وهكذا فإن التصوف سلوك ولكنه لا يجوز أن يخرج عن حدود ما جاء به الكتاب والسنة من عقيدة وشريعة وحكمة وأدب والمتصوفة الصالحون المخلصون من أعلام هذه الأمة لايسعهم إلا الأخذ بما أخذ به الأولون والاهتداء بهديهم ، وبخاصة وهم يحملون رسالة الإسلام وينبرون لتربية الأجيال وتعليمهم وتهذيبهم وذلك ليستمر هذا الدين مناراً للقلوب والعقول يتوارثونه كابراً عن كابر حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهم على خير ما يحب ويرضى .

والله ولي التوفيق ،،،

مفتي الجمهورية اللبنانية

حسن خالد

Marfat.com

جمهورية القمر الاتحادية

دار الإفتـــــاء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بعثه الله هداية ورحمة للأولين والآخرين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين - أما بعد :

فهذا ما سمح بكتابته اليراع استجابة لنداء فضيلة الشيخ السيد يوسف السيد هاشم الرفاعي الكويتي في الأسئلة التي وجهها إلى أصحاب السماحة والفضيلة العلماء طلباً للإدلاء بآرائهم فيها وهي كما تلي :-

تدور حملة مكثفة للتشهير بالصوفية عموماً دون التفرقة بين الصالحين منهم والمنتسبين ونحن نقدم إلى لجنتكم الموقرة الإجابة على هذه الأسئلة :-

١ ـ ما مدى مشروعية التصوف ؟

٢ ـ ما رأي العلماء في السادة الصوفية الأوائل أمثال الجنيد البغدادي ، وبشر بن الحارث والحارث المحاسبي ، ومعروف الكرخي ، والشيخ عبد القادر الجيلاني ، والسيد أحمد الرفاعي وغيرهم من أعلام الأمة ؟

٣ ـ ما حكم من يكفر جميع الصوفية أو ينسبهم إلى الشرك ؟

٤ ـ هل للصوفية عقيدة خاصة تخالف وتجفو عقيدة أهل السنة والجماعة ؟

٥ ـ ما حكم التشهير بهم ؟

Marfat.com

الإجـابـــة :-

أولاً : وقبل كل شئ أود أن أذكر شيئاً من كلام العلماء في تحديد معنى كلمة الصوفية ومأخذها في اللغة العربية ، فقد تفننوا في ذلك فقال بعضهم : إن الكلمة مأخوذة من كلمة صوفيا وهي كلمة يونانية معناها الحكمة ، وقال آخرون إنها منسوبة إلى الصُّفَّة بتشديد الفاء محل في المسجد النبوي كان منزلاً لطائفة من الصحابة انقطعوا بقلوبهم وقوالبهم لعبادة الله وهم المعنيون بقوله تعالى مخاطباً لرسوله الأعظم ﷺ وآله بقوله : ﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه**﴾ سورة الكهف / ٢٨ .

والمعني في نسبة الصوفية إلى هؤلاء أنهم كانوا أمثلة لهم في الزهد والتخفف من متاع الحياة وهناك قول في الصوفية منسوب إلى قبيلة كانت منقطعة لخدمة الكعبة اسمها الصوفة ، وقال جمع إن كلمة الصوفية مأخوذة من الصفاء والمصافاة وبهذه الآراء يعلم أن الصوفية باعتبار مأخذها ونسبتها كلمة دينية يراد بها معنى ديني ولا يقدح في ذلك ولا يعد ابتداعاً كون الصوفية والتصوف باعتبار الاسم لم يكن في عهد الرسول ﷺ وآله ، ولا في عهد الصحابة وعهد التابعيين ما دامت عقيدتهم وأقوالهم وأعمالهم جارية وموافقة تماماً لما في الكتاب والسنة ، كما لا تعد أسماء المذاهب التي لم تكن تذكر في العهود الأولى ابتداعاً في الدين كالأشاعرة والماتريدية والمذهب الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي وغيرهم .

Marfat.com

التصوف الذي يقول به الصوفية اصطلاحاً

التصوف هو إيمان صادق في عقيدة صحيحة وعلم لما في الكتاب وما جاء في السنة المطهرة وعبادات خالصة وأخلاق كريمة ومجاهدات ورياضات لنفوسهم وتهذيب وتأديب لأتباعهم بالآداب الشرعية وسلوك تطبيقي يهدي إلى (مقام الإحسان) الذي فسره النبي ﷺ وآله في الحديث بقوله : " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " .

وبهذه يتضح أن التصوف الصحيح حصيلة لاتباع ما جاء في الكتاب والسنة ويتضح أيضاً أن أئمة الصوفية هم سيدنا محمد ﷺ وآله وأصحابه والتابعون ومن سار على نهجهم واقتدى بهم في العقيدة والقول والأعمال كالجنيد البغدادي وبشر بن الحارث والحارث المحاسبي ومعروف الكرخي والشيخ عبد القادر الجيلاني والسيد أحمد الرفاعي والسيد أبى الحسن الشاذلي وغيرهم من أعلام الأمة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، ويتضح بهذا أيضاً الجواب عما جاء في الأسئلة (ما مدى مشروعية التصوف) .

كما يظهر جلياً للمنصف أنه ليس للسادة الصوفية عقيدة تخالف وتجافي عقيدة أهل السنة والجماعة فمن تعرض لهم بالتكفير والتشهير ونسبة الشرك إليهم بلا تفرقة بين الصادقين منهم والمدعين الكاذبين والمشعوذين الماكرين فقد عرض نفسه للتهديد الشديد والوعيد الصارم الذي ورد عن الله تعالى في الحديث القدسي بقوله (من عادي لي ولياً فقد آذنته بالحرب) رواه البخاري . أعلن سبحانه

Marfat.com

وتعالى بالهلاك والدمار على من عادى أولياءه وحارب أحباءه لكونه عانده وحاربه ومن عاند الله وحاربه أهلكه لأنه الغالب عَزَّ وجلّ ولأنه عزيز ذو انتقام ومن سنته جل وعلا أن ينصر المؤمنين على أعدائهم كما قال جل شأنه : ﴿ **وكان حقاً علينا نصر المؤمنين** ﴾ سورة الروم/ ٤٧ .

وقد نوه سبحانه وتعالى بالذكر للأولياء الذين تجب موالاتهم وتحرم معاداتهم بقوله : ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم**﴾ سورة يونس / ٦٢-٦٤ .

وقسمهم تعالى في الحديث القدسي السابق الذكر في قسمين : القسم الأول: المقتصدون وهم الذين قال فيهم : وما تقرب إلى المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم ، والقسم الثاني : هم السابقون المقربون وهم الذين قال فيهم : ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل أي بعد أداء ما افترضت عليه حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها إلى آخر الحديث ، وفي النهي والتحذير عن تشهير المسلم وسبابه قال ﷺ وآله : " سباب المسلم فسوق وقتاله كفر " رواه الطبراني عن ابن مسعود ، أما الكرامات وخوارق العادات فليست من لوازم الولاية ولا من الدلائل عليها وجوداً وفقداً .

هذا ونسأل الله تعالى العلي القدير أن يحيينا ويميتنا ويبعثنا على

Marfat.com

دين الإسلام وأن يجعلنا في زمرة الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين - وصلى الله علي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المفتي

محمد بن عبد الرحمن آل الشيخ أبو بكر بن سالم

مفتى جمهورية جزر القمر الإسلامية

Marfat.com

الصوفية والعلم والعمل والجهاد في سبيل الله
الصوفية رهبان الليل وفرسان النهار

الصوفية وحركة الحياة الشاملة
كما ارتضاها الحق تبارك وتعالى لرسول رحمته
في رسالته الخاتمة الخالدة

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي
ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ سورة المائدة/ ٣

Marfat.com

الصوفية والعلم والعمل والجهاد في سبيل الله
(رهبان الليل وفرسان النهار)

طالما سمعنا دعاوى عريضة يتهجم بها قوم على الصوفية ، يدعون فيها : أنهم يتقاعسون عن الجهاد في سبيل الله ، أو يترهبون وينقطعون في الزوايا يتعبدون دون عمل يبتغون به رزقهم من فضل الله .

والحقيقة أنهم أحقاء بالوصف المشهور: رهبان بالليل وفرسان بالنهار، بعد صحابة رسول الله ﷺ وآله، في أتم صحبة للمثل الأعلى ﷺ وآله ومن أراد البراهين القاطعة فليراجع كتب التراث الإسلامي، والتي سنورد منها في هذا الفصل بعضها، فهم أهل التضحية والفداء والرباط في سبيل الله عبر الأجيال ومنذ القرون الثلاثة الأولى - وهي قرون الخيرية العليا - كما جاء في حديث الحبيب المصطفى ﷺ وآله : "خيرُ القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم "- فهم أهل العلم والجهاد في سبيل الله عبر الأجيال حتى عصرنا الحاضر ، الذي نذكر فيه : الشيخ عبد الكريم الخطابي ، والشيخ عبد القادر الجزائري ، وعمر المختار ، كما للصوفية دور كبير في حروب التتار والحروب الصليبية ورجالهم من الصوفية وأهل الفتوة في الإسلام .

أما القرن الأول فقد قال علقمة بن مرثد - المتوفى ١٢٠ هـ : "انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين وهم: عامر بن عبد الله، وأويس القرني، وهرم بن حيان، والربيع بن خيثم، وأبو مسلم الخولاني، والأسود بن يزيد، ومسروق بن الأجدع، والحسن البصري [1]. هذا

---

(١) راجع زهد الثمانية من التابعين من رواية ابن أبي أبي حاتم - وانظر : البطولة والفداء عند الصوفية لأسعد الخطيب - ومنه نقتبس خلاصة هذا الفضل .

Marfat.com

وقد عدهم العلماء أنهم من كرام التابعين الزاهدين المخلصين ، وأنهم أول من أسس حركة الزهد والتصوف في الإسلام، بعد ما زرع بذورها صحابة رسول الله ﷺ وآله، وأول من حققوا معنى (مقام الإحسان) والصدق مع الله [1] بعد صحابة رسول الله ﷺ وآله ، وهؤلاء من كرام التابعين بإحسان، وما منهم أحد إلا وله قدم صدق في العلم والزهد والجهاد والمرابطة في سبيل الله ، ونخص منهم - في بحثنا هذا - الإمام الحسن البصري - لأهميته كمرجع جليل للصوفية علماً وعملاً وحالاً [2].

الإمام الحسن البصري (٢١ - ١١٠ هـ)
الحكيم المعلم ، والشيخ الزاهد ، والبطل المجاهد

يعتبر الإمام الحسن البصري المرجع الحكيم للصوفية ، فما من كتاب في التصوف إلا ويشير إليه كقمة في هرم سلسلة شيوخهم، ولأنه تعلم على أيدي الصحابة، ولا سيما الإمام على كرم الله وجهه وقد ذكر (ابن كثير) أن الحكمة التي أوتيها الحسن والعلوم من بركة رضاعه من ثدي أم المؤمنين أم سلمة زوجة النبي ﷺ وآله - كما دعا (عمر بن الخطاب) له بما دعا به الحبيب المصطفى ﷺ وآله لعبد الله بن عباس: " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل " ، حيث كانت أمه تخرج به للصحابة وهو صغير فيدعون له وكان يقول: " أدركت

---

(١) انظر تاريخ الإسلام للحافظ الذهبي جـ٢، صـ وأخرجه أحمد في الزهد، وابن حجر العسقلاني في تمييز الصحابة (رقم ٥٠٠) .

(٢) ونقتبس هذا من كتاب (البطولة والفداء عند الصوفية) دراسة تاريخية للسيد/ أسعد الخطيب، ومن غيره مع التصرُّف - وهو بدوره يستشهد بكتب التراث الإسلامي التي تشير إليها كما رجع إليها في مواطنها في هذا الفصل كله (رهبان الليل وفرسان النهار) .

Marfat.com

سبعين بدرياً وصليت خلفهم، وماكان لباسهم سوى الصوف لو رأيتموهم لقلتم مجانين[1] ".

وقال أبو طالب المكي (المتوفى سنة ٣٨٦ هـ): كان الحسن رضي الله عنه أول من أنهج سبيل هذا العلم (التصوف) وفتَّق الألسنة به، ونطق بمعانيه وأظهر أنواره، وكشف قناعه [2] أي أن التصوف تفتحت أزاهيره منذ القرن الثاني - وإن كان هو في أنواره وحقائقه ، وسلوكه وهديه من سيرة الحبيب المصطفى ﷺ وآله وأصحابه الأعلام لأنه على الحقيقة (مقام الإحسان) الذي كانوا عليه .

أما أن (الحسن البصري) كان من المجاهدين في سبيل الله فقد أورد ابن سعد في الطبقات الكبرى (جـ٣ صـ ١٧٥) " أنه سئل : هل غزوت ؟ قال : نعم غزوة كابل مع عبد الرحمن بن سمرة .

كما يعده كثير من الحفاظ أنه ممن لازم الجهاد ، كما لازم العلم والعمل ، كما كان أحد الشجعان الموصوفين في الحرب [3] .

كما كان من كبار الزاهدين - فهو القائل : " ما عُمِلَ عَمَلٌ بعد الجهاد في سبيل الله أفضل من ناشئة الليل " [4] .

وهكذا شأن كرام التابعين السبعة الأوائل الذين أثنى عليهم الحفاظ ونصوا على أوليتهم في التابعين بإحسان والصادقين مع الله وأهل الحكمة والصفاء، ومن المجاهدين في القرن الأول والثاني - من قرون

---

(١) زهد الثمانية صـ ٣٧، وكتاب التعرف على مذهب أهل التصوف للكلاباتذي صـ١٤، وحلية الأولياء جـ٦ . صـ١٩٦ .

(٢) قوت القلوب جـ١ ، صـ١٥٠ .

(٣) تذكرة الحفاظ للذهبي جـ١، صـ٧١، تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني جـ١، ص٤٨٣ .

(٤) الزهد لأحمد بن حنبل ، صـ٣٤٨ .

Marfat.com

الخيرية ـ في أمة المصطفى ﷺ وآله (خير أُمَّة أُخرجت للناس) ـ كما اشتهر هذا الشأن للرعيل الصوفي طبقة بعد طبقة عبر الأجيال .

بل ويذكر المؤرخون المنصفون أن التصوف وليد حركة الزهد والتمسك والإخلاص مع الله ، وحسن الاقتداء بحبيبنا رسول الله ﷺ وآله وأصحابه السلف الصالح وذكروا منهم بالأخص (محمد بن واسع ، ومالك بن دينار) ، ممن ترددوا على حلقة الحسن البصري ـ حيث أذن له الإمام علي كرم الله وجهه ـ دون كثير غيره للعظة والدرس فَتَخرَّجَ في مدرسته الكثيرون من كرام الأصفياء، ومنهم أيضاً عبد الواحد بن زيد القائل : " لكل طريق مختصر ومختصر طريق الجنة الجهاد "[1] .

ونتخير لبحثنا إماماً آخر من أئمة التصوف في قرن الخيرية الثاني ، ونعني به إبراهيم بن أدهم لثناء علماء الأمة عليه عبر الأجيال .

إبراهيم بن أدهم
من القرن الثاني الهجري

يعدُّ من أئمة الصوفية الروحانيين كان أبوه ملكاً ، ولكن الابن تَزهَّد اختياراً وساح في البلاد ، وجعل ثغور الإسَلام له مقاماً مرابطاً ومجاهداً ، وداعياً إلى الله ورسوله

يذكره (ابن عساكر) فيقول : " كان فارساً شجاعاً ، ومقاتلاً باسلاً ، رابط في الثغور وخاض المعارك ضد البيزنطيين " .

وقد أثنى علي ورعه أحمد بن حنبل والأوزاعي وسفيان الثوري

---

(١) حلية الأولياء جـ٦، صـ١٥٧ .

Marfat.com

والنسائي وغيرهم قال ابن حيان : إنه خرج للشام طلباً للحلال المحض ، فأقام فيها غازياً ومرابطاً يلزم الورع الشديد والجهد الجهيد حتى مات ، وحكمه في الدعوة إلى الله عز وجل مأثورة في كتب القوم وغيرهم [1] .

وتتلمذ على يديه وتابعه الكثير من المجاهدين الأبطال أما هو فقد ذكر ابن كثير وياقوت الحموي : أنه مات وهو قابض على قوسه متهيئاً لرمي العدو في جزيرة من بحر الروم سنة ١٦٢ هـ [2] .

عبد الله بن المبارك

شهرته تغني عن الإطالة : كان يغزو سنة ، ويحج سنة ، ويتاجر سنة، وما يحصل عليه في تجارته يوزعه على الفقراء ، أو يصحبهم في الحج على نفقته .

ويقول عنه الخطيب البغدادي : كان من الربانيين في العلم ومن المذكورين في الزهد . وخرج من بغداد إلى ثغر المصيصة (مرابطاً ومجاهداً) فصحبه الصوفية ـ في قصة طويلة طريفة ، بسطها تاريخ بغداد (جـ ١٠ ، ص١٥٧) .

وينقل الحافظ ابن حجر العسقلاني كلام الخليلي في الإرشاد " لابن المبارك من الكرامات ما لا يحصى ، ويقال إنه من الأبدال وقد صُدِّرَتْ تراجم الصوفية باسمه " .

وفي حلية الأولياء : سئل ابن المبارك : مَنِ الناس ؟ قال : العلماء ،

---

(١) راجع تهذيب تاريخ دمش جـ٢، صـ١٧٩، وحلية الأولياء جـ٧، ص٣٨٨ .
(٣) راجع البداية والنهاية جـ١٠، صـ١٤٥، ومعجم البلدان مادة سوقية .

Marfat.com

قيل : ومن الملوك ؟ قال : الزهاد . وله كتاب (الزهد والرقائق) ، وهو أول من صنَّف في الجهاد ويفسر قوله تعالى : ﴿**وجاهدوا في الله حق جهاده**﴾ الحج/ ٧٨ . أن معناها مجاهدة النفس والهوى - وذلك حق الجهاد ، وقد توفي منصرفاً من الغزو سنة ١٨١ هـ [١] وذلك باعتبار أن المجاهدة للنفس هي الجهاد الأكبر ، وبه وحده يتم تحقيق معنى العبودية لله بالتزام شريعته ؛ فتتحقق الخلافة عن الله وبذلك تعمر الأرض ، ويُدفع شر المفسدين فيها بالجهاد في سبيل الله وترتفع منارة التوحيد والعلم عن الله العظيم .

أبو سعيد الشهيد (من أتباع ابن المبارك)

وممن أدرك عبد الله بن المبارك أبو سعيد الشهيد ، وكان صاحب بأس شديد، استشهد بعد ما قتل العديد من الأعداء الأشداء وقد أنشد قبل موته :-

أحسن بمولاك يا سعيدُ ظَنَّاً هذا الذي كنت له تمنَى
تَنَحَّيْنَ يا حور الجنان عنا مالكنَّ قاتلنا ولا قُتلْنا
لكنْ لربِّنا قد اشتقنا قد علم السِّرَّ وما أعْلَنَّا [١]

ويقول الباحثون : " لقد جَسَّدَ الصوفية باندفاعهم إلى ميادين الجهاد الارتباط الإسلامي بين العبادة والجهاد، وأشاعوا في الثغور والرباطات شعوراً دينياً خاصاً له أبعد الأثر في الصمود والنصر [٢] بشجاعتهم، ودعوتهم للجنود للاستبسال والصدق مع الله " .

---

(١) راجع وفيات الأعيان جـ٣، ص٣٢، وتهذيب التهذيب جـ٣، ص٢٤٧، والكواكب الدرية جـ١، ص١٧٦ وصفوة الصفوة جـ٤، ص١٤٧ .
(٢) راجع حلية الأولياء جـ١٠، ص١٦٥ .
(٣) راجع مجلة العربي الكويتية العدد ٢٨٧ مقال للدكتور حسان صدقي مقال بعنوان (المطوعة ودورهم في حراسة ديار العروبة والإسلام) .

Marfat.com

نماذج من الصوفية المجاهدين في القرن الثالث

نلتقي في المصادر بالمئات من المتطوعين الصوفيين من القرن الثالث الهجري خاضوا الجهاد ضد الروم ودرء خطرهم عن الشام ، وجزيرة الفرات ومشايخهم يصاحبونهم لبث الحماس في النفوس والتذكير بما أعدَّ الله للمجاهدين والشهداء من النعيم الخالد والرضوان الأكبر ومن مشاهيرهم :-

حاتم الأصم

هو حاتم الأصم ـ القدوة الرباني ـ كان يلقب بلقمان الأمة ـ وقد اشترك في حرب الترك [1] .

أبو يزيد البسطامي

أبو يزيد البسطامي الملقب بسلطان العارفين (توفي سنة ٢٦١ هـ) جاء عنه في شذرات الذهب ـ وفيات سنة ٢٣٧ هـ .

" كان خلال وجوده في الثغر يحرس طيلة الليل ، ويرابط ويَتَعَبَّدُ ويذكر الله ويذرف الدموع خشية لله العظيم ، ويتضرع إلى الله العظيم لتمام النصر " .

ومن أقواله : لم أزل منذ ٤٠ أربعين سنة ما استندت إلى حائط إلا إلى حائط مسجد أو رباط (في سبيل الله) وبذلك يتجلى كيف كانوا رهبان الليل وفرسان النهار .

لذلك يقول : أقامني الحق مع المجاهدين أضرب بالسيوف في وجه الأعداء [2] .

---

(١) راجع الأعلام جـ٢، ص١٥٢ .

(٢) انظر : أبو زيد البسطامي ـ للدكتور الشيخ/ عبدالحليم محمود ، صـ٧٣ .

Marfat.com

أبو حمزة الصوفي

يعّد من أوائل من تكلم بالتصوف ببغداد مع صفاء الذكر ، وجمع الهمة والمحبة والشوق والقرب والأنس بذكر الله ـ وفق ما ذكره الخطيب في تاريخه .

وهو محمد بن إبراهيم أبو حمزة الصوفي (توفي سنة ٢٦٩ هـ) ، كان عالماً بالقرآن . جالس أحمد بن حنبل ، وبشر بن الحارث ، وكان له مُهْرٌ رَبَّاهُ يحب الغزو والجهاد عليه [١] .

ويقول الجنيد عنه : " حُبِّبَ إلى أبي حمزة الغزو وكان يأتي بلاد الروم للمجاهدين معه وعليه جبة صوف " [٢] .

السري السقطي (توفي سنة ٢٥٣ هـ)

وهو من كبار الصوفية ، وحكى المؤرخون عنه الكثير عن المجاهدات في أرض الروم [٣] .

ويتجلى رأيه في الجهاد في تفسيره للآية الكريمة : ﴿ **يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون** ﴾ آل عمران/ ٢٠٠ .

فقال :ـ صابروا أراد الثبات في المعركة مع الاستقامة والصبر .

قال الحسن بن البَزَّار : سألت أحمد بن حنبل عن السري السقطي بعد قدومه من الرباط في الثغر فأثنى عليه .

---

(١) تاريخ بغداد جـ١ ، صـ ٣٩٠ .
(٢) طبقات الأولياء للسخاوي ، صـ ٦١ .
(٣) تاريخ بغداد ، جـ٩ ، صـ١٨٨ .

Marfat.com

ومن كلامه (من صفات الصوفي ألاّ يتكلم بباطن علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب والسنة) .

الإمام الجنيد محمد أبو القاسم الخرّاز (توفي سنة ٢٩٧ هـ)
سيد الطائفتين : (الفقهاء والصوفية)

وقد أجمع العلماء قاطبة على فضله وإمامته وتقدمه حتى عَدَّه ابن الأثير : (عالم الدنيا في زمانه) .

وقال ابن كثير في ترجمته : " سمع الحديث وتفقه ولازم التعبُّد ففتح الله عليه بسبب ذلك علوماً نافعة كثيرة، وأموراً لم تحصل لغيره في زمانه، وكان يعرف سائر فنون العلم حتى اشتهر بلقب (سيد الطائفتين: الفقهاء، والصوفية) .

وقد أثنى عليه الشيخ ابن تيمية قائلاً : الجنيد رضي الله عنه سيد الطائفة إمام هدى ... إلى أن يقول : " من خالفه فمنْ أهل الضلال [1] . وقد اشترك في الجهاد في سبيل الله يقول : " أرَسل إليَّ أمير الجيوش شيئاً من النفقة فكرهت ذلك لنفسي ففرقتها على محاويج الغزاة " [2] .

ومن مأثوراته: (لكل أمة صفوة، وصفوة هذه الأمة الصوفية)، ويقول: التصوف صفاء المعاملة مع الله، كما قال الصحابي الجليل حارثة وقد سأله الحبيب المصطفى ﷺ وآله : كيف أصبحت يا حارثة قال: (عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي و أظمأت نهاري، فكأني أرى عرش ربي بارزا، وأهل الجنة في الجنة يتزاورون وأهل النار في النار يتعاوون ويبكون)، فقال له رسول الله ﷺ وآله عَرَفتَ

---

(١) راجع حديث الترول ، صـ١٢٣ .
(٢) راجع روض الرياحين ، صـ٢١١ .

Marfat.com

فالزم. عبدٌ نورَ الله بالإيمان قلبه ..من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة، فلينظر إلى حارثة [1] . وتَدَبَّرْ قوله عن سلوكه مع الله (فأسهرت ليلي، وأظمأت نهاري) ففيهما (مقام الإحسان) متجلياً .. ثم تَدَبَّرْ قوله ﷺ وآله: " عرفت فالزم " وتقريره لصدق السلوك من عبد نَوَّرَ الله بالإيمان قلبه .. والتابعون بإحسان هم أهل ذلك بتوفيق من الله العظيم ، وكما وصفهم : ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً** ﴾ سورة الفرقان/ ٦٣-٦٤ .

دور الصوفية في الحروب الصليبية
الناحية الصوفية عند بطل الحروب الصليبية
نـور الـديـن محمـود زنكـي

أجل لقد كان للصوفية دورٌ بطولي كريم في الجهاد في سبيل الله في الحروب الصليبية وتحت قيادة بطل الإسلام والمسلمين (نور الدين محمود زنكي) .

قال ابن الأثير وغيره " وكان يحضر مشايخهم ويقربهم ، ويتواضع لهم ، ويجلسهم معه على سجادته ، ويَسمع لحديثهم " [2] .

وكان من المشايخ الكرام الشيخ القدوة (حياة بن قيس الحراني) "ت ٥٨٦ هـ" وكان صاحب كرامات وأحوال، وقد كان لتشجيعه نور الدين وقادة جيشه أثر كبير في الشجاعة والمثابرة والنصر العزيز[3]، ومنهم (الشيخ عماد الدين أبو الفتح حموية) نزيل دمشق

---

(١) تكملة الحديث المشهور .
(٢) الكواكب الدرية في السيرة النورية ، صـ٣٨ .
(٣) سير أعلام النبلاء جـ ٢١، صـ١٧٢، العبر للذهبي جـ ٤، صـ ٢٤٣ .

Marfat.com

سنة ٥٦٣ هـ قال عنه البغدادي : " لم يكن له في علم الطريقة والحقيقة نظير ، وقد أصدر نور الدين منشوراً له بمشيخة الصوفية في الشام [١] لكرامته في الجماعة وحكمته ولدوره الكبير في تربية الشباب والرجال من أبطال الإسلام " .

ومنهم (ابن الصابوني) الزاهد الذي مَرَّ بدمشق فسأله نور الدين الإقامة بها فيكون معه ويستشيره ويأنس به فاعتذر بقصد زيارة الإمام الشافعي فجهزه على مصر ، وأصحبه الأمير (نجم الدين أيوب والد السلطان صلاح الدين) .

وكان منهم (الشيخ عمر الملاَّ) ، يقول عنه البغدادي: "وهو من أئمة العارفين يزوره العلماء والملوك في زاويته ، وكان يقيم حفلاً عظيماً في المولد النبوي الشريف ينشد فيه الشعر في مدح الحبيب "، وكان نور الدين يستشيره ويعظِّمهُ [٢] .

وكذا السلطان ألب أرسلان

هذا وقد أثنى المؤرخون على (السلطان السلجوقي ألب أرسلان) صاحب موقعة (ملاذكرد) التي انتصر المسلمون فيها على الروم سنة ٤٦٣ هـ ، كما في شذرات الذهب، وذكروا أنه كان يتبرك بالصوفية ولا سيما (بالشيخ أبي القاسم القشيري (ت ٤٨٥ هـ) وأبي نصر محمد بن عبد الله البخاري الصوفي) الذي أشعل حماس الجنود بخطبته قبل المعركة فكان لذلك أثر كبير في النصر بتأييد الله العظيم [٣] .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير جـ١٢، صـ٢٦٣، ومرآة الزمان ، جـ١، صـ٣١٠ .
(٢) الروضتين في اختبار الدولتين جـ١، ص٩ .
(٣) المراجـــع السابقـــة .

Marfat.com

الناحية الصوفية عند بطل الإسلام
صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢ ـ ٥٨٩ هـ)

لقد ارتبط العصر الوسيط بوصف الصلاح والزهد والورع وحسن العقيدة بالصوفي البطل المؤيد (صَلاح الدين الأيوبي خليفة نور الدين محمود) ، وبطل الحروب الصليبية الأشهر فقد ارتبطت صفاته بالصوفي الزاهد الورع التقي النقي بركة أهل زمانه كما يقول السبكي في طبقاته.

وقال عنه ابن كثير : كان شجاعاً كثير الصلاة وله (خانقاه[1] بالديار المصرية، أقامه للصوفية ومثله بدمشق)، وكان نصرهُ الأكبر في فتح القدس في ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ بعد معركة حطين، وشهد فتحه الكثيرون من رجال التصوف من أرباب الخرق والزهد والعلم[2] وتوقيته بهذا اليوم العظيم في ذكرى الإسراء والمعراج إشارة ربانية لرضوان الله على الجيش وقائده وهو القائل عز وجل: ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد** ﴾ سورة غافر/ ٥١ .

وقد أمر بالمحافظة على كنيسة القيامة ، فضرب بذلك مثلاً عظيماً في سماحة الإسلام وبنى قريباً منها مدرسة للفقهاء الشافعية ، ورباطاً لصلحاء الصوفية [3] ليثبت للصليبيين أن الإسلام دين السماحة والسلام وهذا بجانب إحسانه لأسراهم وإطلاق سراحهم وعلاج جرحاهم .

---

(١) والخانقاه بمعنى (الزاوية أو التكية) عند السادة الصوفية .
(٢) راجع وفيات الأعيان ، جـ٧، صـ ١٧٩ لابن خلكان .
(٣) راجع الفتح المقدسي للعماد الأصفهاني صـ ١٤٥ .

Marfat.com

وتاريخ الإسلام شاهد صدق على أدوار الصوفية في الجهاد والبطولات الإسلامية وصدق الرباط والحفاظ على ثغور الإسلام - في كتائب الجيوش ، أو في الدعوة والإرشاد في المساجد والزوايا ، فهم بصدق كانوا (رهبان الليل وفرسان النهار) وكان لهم الأثر الكبير في إذكاء روح الحماس في المعارك ، والصبر والمصابرة في الجهاد في سبيل الله عبر الأجيال - كما يشهد بذلك سجل التراث الإسلامي كله ، وقد أشرنا لبعضه كبرهان قاطع ﴿ **لمن أراد أن يذكَّر أو أراد شكوراً** ﴾ سورة الفرقان/ ٦٢ .

Marfat.com

وفي حروب التتار وفي العصر الحديث أيضاً
الصوفية (رهبان الليل وفرسان النهار)

ثم إن الحديث يطول في شأنهم بنفس المراجع السابقة وغيرها في حروب التتار يضيق عنه المقام وإن كنا نذكر منهم **الإمام أبو الحسن الشاذلي ورجاله الأصفياء والشيخ العز بن السلام (سلطان العلماء)** وهو شيخ سيف الدين قطز أمير مصر والشام حينئذ وقائد موقعة (عين جالوت) بالشام والتي تمت بتوقيت إلهي جليل في ٢٧ رمضان سنة ٦٥٨هـ للقضاء على التتار الذين كانوا قد قضوا على الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ وذلك في إشارة ربانية عظيمة على رضوان الله على الجيش ورجاله وقائده وقادته من أهل الله الذين يتم بهم وبأمثالهم استخلاص العالم الإسلامي من قبضة التتار بالنصر والتأييد ، ﴿ وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم ﴾ سورة الأنفال/ ١٠ ، وذلك كما تم تخليص بيت المقدس والبلاد الإسلامية من قبضة الصليبيين من قبل على يد صلاح الدين البطل الصوفي العظيم في ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ ﴿ ولله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ﴾ سورة الروم/ ٤ - ٥ ، بل وفي العصر الحديث قام شيوخ الصوفية بدور كبير في جهاد الاستعمار والمستعمرين نذكر منهم الشيخ عبد الكريم المغربي في المغرب ، والشيخ عبد القادر الجزائري في الجزائر ، في مواجهة الاستعمار الفرنسي ، في جهاد بطولي خالد هنا وهناك . ثم عمر المختار في مواجهة الاستعمار الإيطالي، وجهاده البطولي مع صحبه الكرام من الصوفية الأصفياء لمدة (٢٥) خمسة وعشرين عاماً في ليبيا ، دوخ فيها

Marfat.com

جيوشهم جيشاً بعد جيش ، ومع قلة أصحابه وقلة سلاحه إلا أنهم كانوا صفوة أيدهم الله بروح من عنده ، فصمدوا وضربوا أمثلة عليا في الجهاد والصدق مع الله ، كما خلد القائد الحكيم أمثلة عليا في الكفاح ، بل وفي معاملة أعدائه الذين وقعوا في أسره كشف بها عن سماحة الإسلام وأنه دين الحق والسلام ، وقد سجلها المؤرخون بإجلال في الغرب والشرق . ولقد حاول العدو إغراءه بكل وسيلة ، ولكن هيهات لأهل الله أن يتخلوا عن واجبهم المقدس ، لذلك آثر الشهادة جليلاً في مقامه عظيماً في بطولته ، صادقاً مع ربه ، ولولا نفاد ذخيرته لكان له معهم شأن آخر . لذلك كان انتقام العدو منه مروعاً ، لكنه كان استشهاداً رائعاً في ميزان الحق ليكون في الملأ الأعلى (في مقعد صدق عند مليك مقتدر) . ﴿ مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً ﴾ .

والآن ـ لطالب الحق ببراهينه ـ أن يراجع باستفاضة التراث الإسلامي القديم ولا سيما في المصادر التي جاءت في الكتاب ، وفي المصادر الحديثة التي أشرنا إليها أيضاً ، ولا سيما كتاب السيد أسعد الخطيب [1].

ففيه كفاية لمن أراد أن يعتبر .. والله تعالى ولي النعمة والتوفيق .

---

(١) البطولة والتضحية والفداء عند الصوفية .

Marfat.com

جريدة "الأنباء" اليومية الكويتية تسأل والرفاعي المؤلف يجيب عن (شبهات حول التصوف)

حمل المحرر الأستاذ مهدي عبد الستار الأسئلة الساخنة التالية التي تمثل معظم شبهات (خصوم التصوف) إلى المؤلف حيث تمت الإجابة عليها بالشكل التالي :-

* أنتم متهمون بنشر عقيدة وحدة الوجود والقول بالحقيقة المحمدية وأنه المستوى على العرش وقد خلقت السموات من نوره ؟
* تدعون أن إبليس كان موحداً عابداً وهو من أهل الجنة ؟
* أقمتم مذهبكم على ادعاء الولاية وعلم الغيب والتعلق برموز من الزنادقة استباحوا المحرمات وأسقطوا الفرائض كالحلاج وابن عربي ؟
* عطلتم فريضة الجهاد ونفرتم من العلم الشرعي ودعوتم إلى الزهد في الدنيا وعدم الزواج ؟
* دعوتم إلى تعظيم القبور والتعلق بالأولياء وأحييتم مظاهر الشرك في الأمة ؟
* تطوفون بالأضرحة وتقبلون الحديد وتستغيثون بأصحاب القبور وهذا كفر بواح ؟
* أسستم الطريقة الرفاعية ببرقمة البلبل ؟
* تسخرون الحيات والثعابين والسباع لخداع عوام الناس .

مهدي عبد الستار

Marfat.com

عناصر الرد :-

* عندنا تحفظات على المدارس الفلسفية التي أشاعت هذه (عقيدة وحدة الوجود) وليس لهم مجالس ولا مريدون الآن .

* إبليس كان موحداً لأنه أقسم بعزة الله لكن بعصيانه أصبح إمام أهل النار .

* نتبرأ من مقولة ابن عربي في إبليس لأنها توحي بالتساهل في شأنه ، **ولا يمنع أن تكون مدسوسة عليه ، كما دسوا الكثير على الإمام الشعراني وغيره .**

* يوجد خلط بين التصوف الشرعي والفلسفي الذي نتبرأ من كثيرة .

* الصوفيون الذين آثروا الخلوة تصرفهم فردي لا يحسب على المنهج ، فقد وجد بين العلماء مَنْ أفتى بفتاوى باطلة فهل الشرع كله باطل ؟! .

* تلاميذ الرفاعي والجيلاني وأبي الحسن الشاذلي وقفوا في وجه الصليبيين والتتار بالجهاد وأنا أعمل بالتجارة وقد تزوجت أكثر من مرة .

* يوجد فهم خاطئ لعلاقة الأحياء بالأموات سنوضحه وزيارة القبور ليست شركاً .

* الدعاء في مراقد الصالحين مستجاب وفئة قليلة ترفض التوسل بالميت الصالح من الأولياء .

Marfat.com

* نعم يوجد من يسيء بجهالة في زيارة الأضرحة وعلينا أن نعلمهم الصواب بدلاً من منعهم أو اتهامهم بالشرك وعبادة القبور .

* نؤمن بالعلم اللدني ولا نأخذ منه حكماً شرعياً .

* (برقمة البلبل) خيال فكري أدبي للشيخ الرواس وإن وجدنا فيها ما يخالف القرآن الكريم والسنة المطهرة تبرأنا منها .

* يجب أن لا ننكر (دور الصوفية في نشر الإسلام) والتصوف ليس عقيدة بل زيادات في الجوانب التعبدية في النوافل والأخلاق والآداب في مقام (الإحسان) .

* لا نأكل اللحوم أيام الخلوة لأنها تقسي القلوب .

* مستعد لمناقشة علماء السلف في فكري الصوفي لاشتماله على الجوانب الروحية ولا يكمل الدين إلا به .

* الصوفية لم يخرجوا عن الشرع قيد أنملة وإن كان أصاب طريقتهم ما أصاب باقي العلوم من الشطحات .

وقد أجرى الحوار وسجل الإجابات

الأستاذ مهدي عبد الستار

خلاصة الرد :-

قد أكد السيد يوسف هاشم الرفاعي أنه ينتمي للفكر الصوفي ويتبناه ويدعو إليه مشيراً أن الصوفية تمثل الجانب الروحي في الإسلام وأن الدين لا يكمل إلا به .

Marfat.com

وأوضح أن الصوفية لم يخرجوا عن الشرع قيد أنملة وقد أصاب طرقهم ما أصاب باقي العلوم الشرعية من الشطحات مبيناً أنه عنده بعض التحفظات على المدارس الفلسفية التي أشاعت عقيدة (وحدة الوجود) وأن هناك خلطاً بين (التصوف الشرعي والتصوف الفلسفي) الذي أعلن براءته من كثير منه مما يخالف نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة .

وأشار الرفاعي في رده على اتهامات " الأنباء " أن إبليس كان موحداً لأنه أقسم بعزة الله ، إلا أنه أصبح إمام أهل النار لأنه عصى أمر الله تعالى ، كما أعلن تبرأه من مقولة فيلسوف الصوفية محيي الدين بن عربي في إبليس لأنها توحي بالتساهل في عصيانه لله جل وعلا . إن لم تكن مدسوسة عليه .

وبين أن هناك فهماً خاطئاً لعلاقة الأحياء بالأموات حيث عد زيارة القبور بأنها مشروعة وإن صاحبها بعض الأخطاء فيجب أن تصحح ولا تُمْنَعَ ، موضحاً أن الدعاء في مراقد الصالحين مستجاب وإن كان هناك من العوام من يسيء الزيارة بارتكاب الأخطاء وعلينا تصحيح منهجهم ثم تساءل عن التهم التي تلقى على المسلمين بالكفر والمروق من الملة جزافاً دون تبصر بحقيقة الأمور وأعلن استعداده لمناقشة فكره مع أي من علماء السلف الذين يكفرونهم، وفيما يلي نص الحوار :-

تفصيل الحوار :-

Marfat.com

نبـــــدأ الاستجواب

س١ : يشاع أنك تنتمي للمذهب الصوفي وتتبنى مدرسة صوفية على الطريقة الرفاعية وتدعمها وتؤازرها في العالم الإسلامي .. فهل هذا صحيح ؟

ج : نعم أنتمي للفكر الصوفي والذي يَعني بمفهومه الإسلامي مقام تزكية النفوس والربانية في طريق الله وهو في الحقيقة (مقام الإحسان) وهو فكر أنتمي إليه وأدعو لتَبَنِّيه والعمل به . ونحن كمسلمين مطالبون به لأن النبي ﷺ وآلهَ بجانب تعليم أصحابه وأمته الكتاب والحكمة كان ضمن مهمته كما ورد في القرآن الكريم) ويزكيهم (أي ويزكي أنفسهم ، أي كان يعلمهم كيف يُخَلُّونَ أنفسهم من السلبيات ويحلونها بالفضائل ، ولدينا الدليل عندما جاء جبريل عليه السلام يسأل الرسول ﷺ وآله ما الإسلام وما الإيمان وما الإحسان ؟ فكان جوابه ﷺ وآله عن الإحسان " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " ، أي المراقبة لله سبحانه والعلم بأنه قائم على كل أعمالك سواء كانت دنيوية أو أخروية ، وأنْ تتذكر أن الله سبحانه مطلع عليك وناظر إليك وهذا المفهوم للتزكية هو المفهوم المتكامل للتصوف وهو يشمل في الإسلام الجانب الروحي ولا يمكن أن نبتره ونقطعه من الدعوة الإسلامية ولا يجوز أن نهمله ولا يكمل الإسلام إلا به .

ونستطيع القول أن التصوف هو معتقد الكثير من المسلمين عبر الأجيال ، والطرق الصوفية أو المذاهب الصوفية اتبعها أناس من أهل السنة والجماعة وغالباً ما يكونون تابعين لأحد المذاهب الأربعة

Marfat.com

المعروفة في المنهاج الإسلامي: الشافعية أو الحنابلة أو المالكية أو الحنفية ، وليس لهم مذهب خارج هذه المذاهب المتفق عليها بين المسلمين وعقيدتهم هي عقيدة أهل السنة والجماعة ، وفي الجملة فهم في الأصول مسلمون وفي الفروع يتبعون المذاهب المتفق عليها ويبقى فقط بمدرستهم الروحية والسلوكية أي نوعية الأذكار والأحزاب والأوراد التي يتعبدون لله بها لتغطية الجانب الروحي في حياتهم ، وهذا هو الجانب الذي يملأ المسلك الصوفي .

الفرق

ويوجد تصور خاطئ عند بعض الناس فيظنون أن هناك مذاهب صوفية أو عقائد صوفية خارج هذا الإطار والمنهج، وهذا تصور خاطئ فمنذ بداية الإسلام والمسلم الصوفي المؤمن بكتاب الله ورسله موجود، لكنه في جانب تربية النفس اتجه للمدارس الروحية الصوفية أو ما يسمى بمدارس الطرق الصوفية، وأصحاب الطرق الصوفية على اختلاف مدارسهم كالأئمة الرفاعي والنقشبندي والدسوقي والجيلاني والشاذلي والجشتي والتيجاني وآل باعلوي الحضارمة وغيرهم، هؤلاء كانوا علماء لهم مؤلفات في بقية العلوم الإسلامية كالفقه والعقيدة والتفسير وكانت لهم تجارب روحية أو تربية روحية لأنفسهم في كيفية التقرب من الله سبحانه ، وهناك زيادة في الجانب الروحي (من النوافل) يفرضونه على أنفسهم تطوعاً على ما فرضه الله على كل مسلم في تزكية النفس وتطهيرها باعتبار أن النفس البشرية لها أمراض كالكبر والعجب والرياء والنفاق وسوء الظن، وهو يريد أن يخلص نفسه منها وأن يكون محافظاً على التهجد وقيام الليل وصلاة الضحى وحريصاً على ذكر الله تعالى كثيراً ولا يكتفي بما يقام في المسجد ثم

Marfat.com

ينسى الله إلى أن يأتي الفرض الثاني، أي أن الجانب التعبدي عنده فيه زيادة ، وغالباً ما يكون زاهداً أكثر منه مادياً، لكن الإنسان لا يستغني عن الدنيا حتى لا يعيش على صدقات الناس ، وقد كان الأولون يقولون في الدنيا: (اللهم اجعلها في يدي ولا تجعلها في قلبي) عملاً بالأثر (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً) .

وهكذا أصحاب هذه المدارس ومؤسسو هذه الطرق ، ما هم إلا صالحون من المسلمين تقربوا إلى الله بزيادة التقوى والذكر ويعتقدون أن ما عملوه ويَدْعُونَ مريديهم إليه هو ما كان عليه الرسول ﷺ وآله وأصحابه والصحابة كان منهم العوام والخواص، بدليل أنه ﷺ وآله كان يدخل المسجد فيسمع أبا بكر يدعو الله فيسأله بماذا كنت تدعو يا أبا بكر ؟ فيقول له كنت أقول (اللهم إني أسألك وجهك الكريم) ويسمع أعرابياً آخر فيسأله وأنت بماذا كنت تدعو؟ فيقول : (اللهم إني أسألك شويهة أو شاة ، اللهم ارزقني جملا)، وهذا تفاوت بين أصحاب النبي ﷺ وآله وكان الرسول عندما يدعوهم لجمع الصدقات يأتي أبو بكر مثلاً بكل ماله ويأتي آخر بنصفه وآخر بربعه وهكذا .

س٢: حتى وإن كان بعض هذه الزيادات والنوافل تخالف ما كان عليه النبي وأصحابه ؟

ج : لا ، فالثابت عندهم أن النبي ﷺ وآله وأصحابه رضوان الله عليهم كانوا يفعلونها ، أمثال أهل الصُّفَّة وغيرهم وبالدليل الأول أن النبي ﷺ وآله كان يقوم من الليل حتى تتورم قدماه وكان لايبقي في بيته شيئاً من مال فيتصدق به، وكان يتخفف من الدنيا وتوفي ودرعه مرهونة عند يهودي ، وكان عمر بن الخطاب شديداً على

Marfat.com

نفسه ، فكان في ثوبه عدد من الرقع وهكذا علي كرم الله وجهه وعدد من الصحابة ، وأهل الصُّفَّة كان عملهم إما جهاد في سبيل الله وإما التعبد والذكر والإقامة في المسجد ومن هذا يمكن القول أن الصوفية لم يخرجوا عن الشرع قيد أنملة ، وإنما حدث شطط عند بعض الأتباع وكل علم من العلوم الشرعية دخله شئ من الشطط من أتباعه ، والشطط هو الخروج عن الجادة ، وهذه الزيادة التي قد تحدث من الأتباع والمريدين لا نعتبرها حجة على المؤسسين للطرق الصوفية .

س٣ : فما دوركم عند المريدين الذين يزيدون ويشطحون ؟

ج : دورنا هو أن ننقي الدين من الشوائب وننبه إليها وإذا رأينا عند أحد من مشايخ الطرق الصوفية شططاً نحاول أن نعرفه أن هذا ليس من الطريق ، لكن الأسلوب يختلف عندنا فلا نأتي ونتهم إنساناً بالشرك أو البدعة أو نغلظ له في القول ونقول إنه خرج من الإسلام ، وإنما نلتزم بالمنهج المحمدي من كتاب الله تعالى ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ سورة النحل / ١٢٥ .

س٤ : مع تعدد الطرق الصوفية .. والتي يدعي كل منها أنه على الحق ، برأيك أين الصواب ؟

ج : الأمر بسيط ، وقد قاله أئمة الطريق ، فقد ذكر الإمام أحمد الرفاعي في كتابه (البرهان المؤيد) قوله: (اتبع ولا تبتدع)، وقال : (إن كل طريقة خالفت الشريعة فهي زندقة) ، وكذلك قول الجنيد وهو من كبار أئمة الطريق (إن علمنا هذا مُقَيَّدٌ بالكتاب والسنة)،

Marfat.com

ويقول بعضهم (لو طار أمامك رجل في الهواء أو سار على الماء ثم رأيته غير ملتزم بكتاب الله وسنة رسوله فقل إنه مستدرج أو أنه ساحر) .

إذن الالتزام بالكتاب والسنة واجب ، ولكن ما من علم من العلوم الإسلامية إلا ودخله الخلل ، والله تعالى لم يتعهد إلا (بحفظ القرآن الكريم) فقط ، فقال جل شأنه : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ (١) ، أما ما عدا القرآن الكريم من العلوم الشرعية فقد تسرب إليه الوضاعون والكذابون والجهلاء والدساسون وذلك واضح في بعض التفاسير التي دخلتها الإسرائيليات والأحاديث التي دخلت فيها الموضوعات والمكذوبات وكذلك الأمر بالنسبة للتصوف الذي دخل فيه الشطاحون الذين خرجوا عن الجادة ويقولون بعبارات ويأتون بتصرفات مخالفة للشريعة المحمدية ، وهؤلاء نرد عليهم ، **ولكن لا نقول إن التصوف كله ضلال أو كله بدعة ، وهذا قول المنصفين من السلفيين كما قسم الشيخ أحمد بن تيميه في فتاواه الصوفية إلى ثلاثة أقسام : منهم من أوصلهم إلى درجة الصِّدِّيقين ومنهم من قال عنهم إنهم على خير ، ومنهم من قال عنه إنهم على ضلال شطحوا وضلوا ، وهو لم يحارب التصوف ، وإنما قال فيهم بالإنصاف ، ونحن نؤيد هذا ونقول به ونستشهد بما عليه المسلمون الآن ، فهل سلوكهم حجة في الإسلام ؟ لا ، وإنما نقول المسلم الذي يمشي على الكتاب والسنة هو الحجة على الإسلام والذي ينحرف فالإسلام برئ منه ، ولذلك أقول لو أن التصوف لم يوجد فيه سوى الجانب الروحي في الإسلام لكفى .**

---

(١) سورة الحجر / ٩ .

Marfat.com

ولو تركنا الناس يعتمدون على كتب الفقه فقط في فهمهم المحدود في القرآن الكريم وكفى فإن القرآن يقول : ﴿ **قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون** ﴾[1] فمن أين نتعلم الخشوع ؟ لا يوجد في كتب الفقه ما يعلم الخشوع في الصلاة ، لكنه ويوجد في كتاب " الإحياء " للغزالي، وفي كتاب " قوت القلوب " للمكي، وفي كتاب " رعاية حقوق الله " للمحاسبي، إذن لا بد أن نحتاج لكتب الصوفية حتى نتعلم الخشوع كيف يحصل وكيف يكون وبقية المهلكات والمنجيات التي جلاّها الإمام الغزالي في الإحياء .

وكذلك فالرسول ﷺ وآله يقول : " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر " ، فكيف نتعرف على الكبر وكيف يتسرب إلى النفس ؟ وكيف نتخلص منه ؟ سنجد هذا في كتابات الإمام الغزالي الذي صنف أمراض القلوب وكيفية الخلاص منها ، ونجد أيضاً من الأمراض التي تفشت (سوء الظن بالمسلمين والغيبة والنميمة) وغيرها من الأمور التي حذر منها الإسلام، وهذه الأمراض استطاع أطباء القلوب هؤلاء أن يبينوا كيف يكون الخلاص منها، وهذا غير متوفر في كتب الفقه ، فيوجد بها أن الشح حرام ، لكن كيف يكون الخلاص من الشح؟، **هذا غير موجود بكتب الفقه، لكنه متوفر في كتب الصوفية التي تسمى كتب التزكية ، وكتب التربية، ولقد تكلم كثير من العلماء المعاصرين أمثال الشيخ أبو الحسن الندوي عن ذلك، الذي له كتاب مشهور عنوانه " ربانية لا رهبانية " وسمى التصوف**

---

(١) سورة المؤمنون / .

Marfat.com

ربانية لا رهبانية، ولقد قال الله تعالى: ﴿ ولكن كونوا ربانيين ﴾[1] ومعناه لا تكن مسلماً عادياً ، ولكن مسلماً ربانياً يعني مسلماً عنده جانب روحاني عال ، أي عنده علاقة بالله خاصة ، وكما قال الله تعالى : ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ﴾[2] فكيف يكون سابقاً بالخيرات ولا يعرف أبواب القرب من الله فيسلكها، وأبواب القرب هي التي اهتم بها الصوفية ، وهي الزيادات على الفرائض ومنها النوافل في كل الواجبات من صلاة وصيام وزكاة وحج وصدقة وخدمة لخلق الله تعالى فخير الناس أنفعهم للناس ـ كما جاء في الحديث الشريف .

س٥ : ظهرت في تاريخ الأمة الإسلامية عقيدة وحدة الوجود ، والقول بالحقيقة المحمدية وأنه المستوي على العرش وينزل الوحي ومن نوره خلقت السموات والأرض ، واتهم الصوفية بأنهم وراء هذه العقيدة الفاسدة .. فما موقفكم من هذا الفكر ؟

ج : بادئ ذي بدء لا بد أن نعرف أن **التصوف فيه مدرستان** : **مدرسة سلوكية ملتزمة بالكتاب والسنة** ، وهي التي تهدف إلى تصحيح سلوك المسلم بحسب ما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وتدله على كيفية التقرب إلى الله مثل مدرسة الإمام الغزالي والرفاعي والجيلاني والشاذلي والدسوقي والنقشبندي والتي يتبعها غالبية المسلمين في العالم الإسلامي كله وتستقطبهم دون

---

(١) سورة آل عمران / ٧٩ .

(٢) سورة فاطر / ٣٢ .

Marfat.com

غيرها ، وهذه الطرق هي التي تلتزم بالكتاب والسنة الحقه والتي تسمى (بالتصوف الشرعي) الذي يتسم بالسلوك القويم إلى الله وهذه المدارس هي التي نعتمدها ونعتقدها وندعو إليها .

وهناك قسم ثان من مدارس التصوف وهي التي ألحقت بالتصوف ، وهي المدارس التي يطلق عليها **المدارس الفلسفية أو " فلسفة التصوف " أو " مدارس الاستشراقات " أو " مدارس المعارف والفيوضات "** ، وهذه المدارس لها رموز كبار أمثال الشيخ محيي الدين بن عربي والشيخ عبد الكريم الجيلي والحلاج وغيرهم ممن اشتهروا بفلسفة التصوف، **وهذه المدارس لنا تحفظات عليها، ولله الحمد هذه المدارس ليس لها مريدون في عالمنا الإسلامي ولم يعد لهم تكايا وزوايا الآن** . وإنما هذه أفكار موجودة عند المسلمين وغيرهم ممن يقرءون هذه الكتب، حتى إن بعض الذين يهتمون من المستشرقين بالإسلام ويقرءون عنه في كتب هؤلاء يدخلون الإسلام بعد اطلاعهم على الأفكار التي كتبها أصحاب هذه المدارس ثم تصحح أفكارهم، واليوم لم يعد يحسب هؤلاء على التصوف ، حيث لم تعد هناك مجالس ذكر وزوايا للشيخ ابن عربي أو الحلاج كما هي متواصلة ومنتشرة في مجالس ذكر الشيخ الرفاعي والقادري والشاذلي، وهذا يدل على أن هؤلاء كانوا فلاسفة ومفكرين ، وقد يكونون تأثروا بالفلاسفة اليونانيين أو غيرهم ، **إلا أن الفرق بيننا وبين غيرنا أن غيرنا من المسلمين يكفرهم ونحن لا نكفرهم لأننا نخاف أن نقع تحت قول الرسول ﷺ وآله " من كفر مسلماً فقد كفر " . ثم لماذا لا نكفرهم ؟ لأن هناك علماء أجلاء من بينهم الشيخ عبد الوهاب الشعراني كذبوا**

Marfat.com

عليه في حياته ونسخ قوم كتبه وزوروا عليها الكثير فطبعت ونشرت ولم يعلم طابعوها وناشروها بما كتبوا ، وقد قال هو مرة لأصحابه : لقد أتيت بما كتبت من النسخة الأصلية وما كتب عني وعرضته على رجال الأزهر فشهدوا لي بأن هذه الزيادات مكذوبة عليك ، ومنها عرفت أنه كذب على الشيخ محيي الدين بن عربي) ونحن نرجح أن هؤلاء الفلاسفة من الممكن أن يُكْذَب عليهم ، كما أننا قد نتأول الكلام ، ونبرره بأنه ربما لم يكن يقصد هذا الأمر ، بدليل أن في كتب ابن عربي (ما يفهم عنه وحدة الوجود) كما يوجد فيها (ما ينكر وحدة الوجود) ، فهذا التناقض يجعل من الصعوبة الحكم عليه ، ونحن نسير على ما عده القانون الحديث (بأن الشك يؤول لصالح المتهم). وأنت إذا رأيت شخصاً يمدح إنساناً ويذمه فلا تستطيع أن تعاقبه لأنه ذمه حيث اشتمل كلامه على النقيضين .

ونحن لا نتبع هؤلاء الفلاسفة ولا نعتقد في آرائهم ولا نكفرهم في نفس الوقت وحتى السلف الصالح من هذه الأمة وعامة المسلمين وأتباع المذاهب الأربعة لم يكفروهم .

س٦ : هناك اتهام للصوفية أن مذهبهم قاد هم إلى ادعاء الولاية وعلم الغيب والتعلق ببعض المشايخ والرموز الذين ظهرت عليهم علامات الزندقة حيث قالوا بسقوط الفرائض وإتيان المحرمات كشرب الخمر والزنا واستباحة الكبائر أمثال الحلاج وابن الفارض والعفيف التلمساني وعبد الغني النابلسي والتيجاني . فما ردكم ؟

ج : أولاً : إن الله تعالى يقول : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم**

Marfat.com

نادمين ﴾ سورة الحجرات/ ٦ .

والرسول ﷺ وآله يقول : " سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر "
رواه الطبراني عن ابن مسعود .

ثانياً : حتى لو سلمنا بأن بعض من ذكرتم قد شطح وانحرف فإنهم لم يكونوا بهذا القدر من السوء والمخالفة للشرع وخاصة فيما يتصل بارتكاب الكبائر والمحرمات .

ثالثاً : الذين يتهمون التصوف يخلطون بين المدرستين ، مدرسة التصوف الشرعي السلوكي ، ومدرسة التصوف الفلسفي التي تحسب على التصوف لكن التصوف برئ من كثير منها .

أما قضية ادعاء الولاية وعلم الغيب فكل الأولياء الكبار الذين عددناهم كالرفاعي والشاذلي وغيرهم يحثون مريديهم على الابتعاد عن الدعوى أي الادعاء بالوصول أو ادعاء الولاية وغيرها ، ويقولون إن الولي يتستر من الكرامة كما تتستر العذراء في خدرها، وذلك لقولهم إن من يشاع عنه الولايه يصاب بالغرور وإذا أصابه الغرور فقد ينحرف عن الجادة في حين أن هذه الكرامة عطاء من الله إليه وليس من جهده أو كسبه فمن أبداه للناس من باب الترزق به أو العيش عليه فإنه آثم لأنه استعمل نعمة الله عليه في غير محلها . ولكن ظهور الكرامة قد يكون رغم أنف الولي كأن يجري الله بين الناس بعض الكرامات الظاهرة علي يديه ، كالإنقاذ من ضيق أو الانتصار من هزيمة أو كأن يكون في عطش شديد في الصحراء فيسقيه الله ويسقي به من معه ، ومع ذلك فبحث الكرامة وارد في الشريعة الإسلامية لأن الكرامات لا تنكر شرعاً كما يقول صاحب الجوهرة :

Marfat.com

وأثْبتَنْ للأوليا الكرامة * ومن نفاها فانبذن كلامه

لماذا؟ لأن النبي ﷺ وآله وردت له معجزات ولأصحابه كرامات وكما حدث مع عمر بن الخطاب وهو على منبر المدينة إذ صاح يا ساريةُ الجبلَ الجبلَ ، فسمعه ساريةُ قائد كتيبة للمسلمين في فارس فكانت صيحة عمر سبيلاً إلى نجاتهم وهناك الكثير، كما ورد في القرآن الكريم للسيدة مريم عليها السلام (وهي لم تكن نبية) كرامات ولغيرها كالذي كان عنده علم من الكتاب من ملأ سليمان عليه السلام وأتى بعرش بلقيس قبل أن يرتد إليه طرفه، وهذا لم يكن نبيا.

إذن الكرامة وهي الأمر الخارق للعادة قد يكرم الله به عبده عند الضيق وعند الحاجة وهذا نوع من الولاية بأن الله أكرمه ، والصوفيون لا يتباهون بهذا الأمر على الناس ولا يتقصدونه ، ولكن لا يمكن أن نقول إنه يجب على الصوفية أن ينكروا الولاية لأن هذا ثابت في الشرع، وإذا نسبناها إلى الإنسان كبرت في عيوننا ، أما إذا نسبناها إلى الله فهي صغيرة بسيطة لأن الله على كل شئ قدير ، وسبحانه وتعالى فقد أعطى عيسى عليه السلام الخلق من الطين طيراً فينفخ فيه فيصير طيراً بإذن الله وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله ، وإذا كانت هذه الولايات والكرامات قد ظهرت في أمم سابقة فلماذا لا يكون في أمة نبينا محمد من يكرمه الله بمثل هذا ؟ فليس هذا على الله بكثير بشرط أن يكون هذا الذي تظهر عليه الكرامة ملتزماً بالكتاب والسنة وإلا عددناه استدراجاً أو سحراً .

س٧ : فماذا تقولون عمن يدعي وصوله لمرتبة من اليقين تسقط عنه الفرائض والواجبات ؟

Marfat.com

ج : لم أجد ذلك لأجلاًء الصوفية ولم أقرأ كتاباً في الصوفية يقول إذا وصل العابد أو الصوفي لمرتبة معينة تسقط عنه التكاليف ، ومن يدعي على الصوفية هذا الكلام فليأت بدليل ، فهذا كلام نسمعه وليس عليه دليل قائم، وهذه تهم تلصق بالتصوف وهي غير موجودة لا في كتبهم ولا سلوك أتباعهم . وأحب أن أضيف أن هناك لبساً عند البعض مما يقوله بعض المشايخ من أنه في بداية الطريق يشعر بالتكليف وبالمعاناة والتكلف ثم بعد ذلك تسقط عنه المعاناة والتكلف فتفهم العبارة بغير مقصدها ، لأن هناك منهم من قال " عبدت الله ثلاثين سنة بتكلف ثم تمتعت بها ثلاثين سنة "، ولكن لسوء الظن يفهم غير المقصود، فالمقصود أنه في عبادته لله ثلاثين سنة عاني التكلف والمعاناة، ولكن بعد ذلك صار يشتاق للعبادة دون مجاهدة ولا مشقة ولا تكليف . فليس معنى ذلك سقوط التكليف لأن قدوة الصوفية في هذا هو الحبيب المصطفى ﷺ وآله الذي أمره الله بالعبادة حتى الوفاة قائلاً له ﴿ **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾ ختام سورة الحجر- أي الوفاة- ولم يسقط هذا التكليف عن النبي ﷺ وآله فكيف يصح لشيخ صوفي أو مريد أن يسقط عن نفسه التكاليف فيخالف أسوته في ذلك ولو قالها صوفي لتبرأنا منه .

س٨ : وماذا تقولون في أقوال الحلاج وابن عربي في أن إبليس موحد عابد وهو من أهل الجنة لأنه عرف الحقيقة ؟ وهل تنفون ذلك لصراحة مخالفته النصوص الصحيحة التي وردت في القرآن والسنة وإجماع الأمة ؟؟؟

Marfat.com

ج : الحقيقة أنني لم أقف على شئ من هذا ، لكنني سمعت أن ابن عربي يقول في أحد كتبه أن إبليس إما أن يسامحه الله أو أنه سيدخل النار ثم يخرج منها لكن كون القرآن قال بصريح العبارة أن إبليس هو إمام أهل النار وأنه سبب غوايتهم وأنه مخلد فهذا ما نؤمن به، أما كون إبليس كان موحداً فقد استدل من قال بذلك بأن الشيطان أقسم بعزة الله فقال ﴿ **فبعزتك لأغوينهم أجمعين** ﴾ سورة ص/ ٨٢ ، وهذا معناه أنه أفضل من بعض أتباعه الذين ينكرون وجود الله تعالى كلية وهو لم ينكر وجود الله فكيف ينكره وقد عبد الله فترة طويلة في السماء ولكنه عصى أمر الله لما أمره بالسجود لآدم، فالشيطان لم ينكر وجود الله لكنه مخلد في النار لأنه عصى أمر الله وفي القرآن قوله تعالى عنه متبرئاً من مشركي قريش في غزوة بدر : ﴿ **إني برئ منكم إني أرى ما لاترون إني أخاف الله والله شديد العقاب** ﴾ سورة الأنفال/ ٤٨ .

س٩ : إذن تقروا أن إبليس كان موحداً ؟

ج : إبليس أقسم بعزة الله لذلك لم يكن كافراً منكراً لله لأن الكافر هو المنكر لوجود الله ، وإذا كان الكافر هو العاصي لله فهو كافر فالمسألة تتوقف على التعريف ، فإن كان الكفر هو عدم الإيمان بوجود الله تعالى وإنكار ذاته فالآية الشريفة تدل على عدم الإنكار ، وإن كان المقصود بالكفر هو عصيان الأوامر فهو كافر، وفي قوله تعالى : ﴿ **كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر ، فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين** ﴾ سورة الحشر/ ١٦، فهو كافر بمعنى عصيان الله سبحانه وتعالى ، وقوله

Marfat.com

تعالى: ﴿ **قال فالحقُّ والحقَّ أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين** ﴾ سورة ص / ٨٤، ٨٥، فلم نقرأ في القرآن أنه أنكر وجود الله، لكن كفره كان نتيجة العصيان وتحدي الذات الإلهية، قال: ﴿ **فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم** ﴾ الأعراف/ ١٦، كما أنه ملعون إلى يوم الدين، ويحشر مع الكافرين إلى جهنم. قال تعالى: ﴿ **فوربك لنحشرنهم والشياطين حول جهنم جثيا** ﴾ سورة مريم / ٦٨، وآيات أخرى ولكن أحب أن أقول إن هذا الموضوع ليس مطروقاً للبحث فيه خاصة في المجالس الصوفية والمدارس والطرق وإن كان قد مر فإنه مر في الكتب السابقة للفلاسفة.

س١٠: هل يفهم أنكم تتبرءون من قول ابن عربي في إبليس بأنه كان موحداً وعابداً وأنه من أهل الجنة ؟

ج: نعم أتبرأ من مقولة ابن عربي لأنها توحي بالتساهل في أمر إبليس وتوحي بالتقليل من خطره وتدعو الإنسان لأن يخفف من جرم إبليس ولا أدعو لمناقشة هذا الموضوع كونه موحداً أو غير موحد، وهذا أمر نكله إلى الله سبحانه وتعالى، وأركز على جانب الغواية وأن الله تعالى قال فيه: ﴿ **إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير** ﴾ سورة فاطر/ ٦.

س١١: هناك اتهام آخر للمنهج الصوفي، وهو تعطيل فريضة الجهاد وإهمال العلوم الشرعية والدعوى إلى الركون وعدم السعي على المعاش والزهد في الزواج، فما ردكم ؟

ج: هذه التهمة أيضاً غير صحيحة لأننا عندما نقرأ كتاب "نبلاء

Marfat.com

الإسلام" للذهبي وكتب التراجم الأخرى مثل كتاب "طبقات الشافعية" و "طبقات الحنابلة" وخاصة كتاب (البطولة والفداء عند الصوفية) لأسعد الخطيب وقد صدر حديثاً وغيرها من الكتب نلحظ ثناء على كثير من الصوفية ، وأنهم كانوا رهباناً في الليل فرساناً في النهار وإذا وجد أناس أفراد غلب عليهم الجانب الروحاني فحصل منهم نوع من الخلوة والانعزال فهذا تصرف فردي ، فنحن الآن نحكم على الشيوعية بنظرياتها وكتبها وأيديولوجياتها وبمثله نقول للمستشرقين لا تحكموا على الإسلام بسلوك المسلمين ، كذلك يجب أن يحكم على الصوفية بما في كتبهم ، فهل في كتبهم من قال : لا تجاهدوا ؟ أما إذا وجد منهم من لم يجاهد فهناك من العلماء من لم يجاهد !!

ثم هناك من العلماء من أفتى بالباطل فهل نترك الشرع لأن العالم الفلاني أفتى بالباطل في الشرع ؟ أو نقول إن الشرع فيه خطأ لفتوى أحد المفتين ؟

أريد أن أقول : (لا يوجد في كتب التصوف ما يعفي من فريضة الجهاد بل إن قدوتهم أهل الصُّفَّة كانوا رهبان الليل فرسان النهار !! والإنسان ما دام يريد وجه الله فليس هناك مكان أفضل من ميدان الشهادة للتقرب من الله سبحانه وتعالى .

فإذاً هذا الاتهام غير صحيح [1] علماً بأن عبد الله بن المبارك كان له كتاب في الزهد والإمام أحمد بن حنبل له أيضاً كتاب في الزهد ، ومع ذلك لم يؤثر عنهما ولا عن الصوفية التخلف عن الجهاد ، بل إن

---

(١) للمزيد يراجع فصل (الصوفية والجهاد في سبيل الله في هذا الكتاب .

Marfat.com

تلاميذ السيد الرفاعي والشيخ عبد القادر الجيلاني والشيخ أبي الحسن الشاذلي هم الذين وقفوا في وجه الصليبيين والتتار وهم الذين نازلوهم في ميادين القتال فالمناقشات حول اتهام الصوفية بتعطيل العمل في الجهاد غير صحيح ، وأنا محسوب على التصوف ولي تجارة وأبيع وأشتري وتزوجت أكثر من مرة وأحث أصحابي على الزواج ونقول لهم حديث الرسول " شرار أمتي عزابها " وإذا رأينا إنساناً لا يعمل نحثه على العمل ونقول له إن الله لا يحب العبد البطال ، ولذلك لا ندعو لما نسب إلينا من هذه التهم ويأتينا إخواننا من أنحاء العالم الإسلامي ونساعدهم على أن يجدوا عملاً .. أو نقيم معهم مشاريع خيرية في بلادهم كالمساجد والمدارس والمستشفيات ودور الأيتام وغيرها وحيث تفتح لهم أبواب العلم والعمل وحركة الحياة الناشطة .

س١٢ : أي جهة أطلقت عليكم هذه التهمة بنظركم ؟

ج : بعض الطرق ترى أن الإنسان في بداية الطريق يحتاج إلى خلوة مع نفسه لأن هذا الإنسان كان غافلاً وجاهلاً فيطلبون منه اعتزال الناس أسبوعاً أو أسبوعين أو ثلاثة لمراجعة نفسه ومحاسبتها واعتزال رفقاء السوء وتغيير البيئة ، ولا بد له من أن يجلس خالياً بنفسه ليكثر من الاستغفار والذكر والصلاة لأداء الفوائت ، وهذه خلوة يأمر بها بعض الشيوخ لمن كان له سابقة في الابتعاد عن الشرع وخاصة من كان مبتلى بالكبائر من الذنوب فيطلبون منه نوعاً من الحمية الدينية ونوعاً من الخلوة للمراجعة والمحاسبة على ما فات والتفكير في حقوق العباد وإرجاعها لأصحابها ،

Marfat.com

وقد تصل هذه الفترة لشهر اقتداء بالنبي ﷺ وآله عندما كان يخلو بنفسه في غار حراء فكان يتعبد لله الليالي ذوات العدد فهذه فترة للنقاء يغير فيها المرء سلوكه مثل غير المسلمين ممن يريد أن يدخل الإسلام نأمره بأن يترك جماعته وبيئته ويغير بعض الأمور في بدنه كالختان إذا لم يكن مختتناً ويغتسل ، ونقول له تعال واجلس في المسجد يوماً أو يومين لتَعَلُّم الصلاة فهذا نوع من الحضانة للتربية ، وهذه الفترة ليستَ طويلَة ولا تفرض على كل واحد ولا يلجأ إليها كل الشيوخ وكم جاءت الوفود عند رسول الله ﷺ وآله فاستبقاهم حتى يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ويعيدهم معلمين لأقوامهم .

س١٣ : فكيف له بصلاة الجماعة وهو في الخلوة ؟

ج : يأتي ليصلي الجمعة ويشهد الجماعات ثم يرجع إلى خلوته وحكمه حكم المعتكف تماماً والاعتكاف سنة في رمضان ومستحب في غيره .

س١٤ : اهتمت الطرق الصوفية في العصور المتأخرة بدعوى الناس إلى تعظيم القبور والبناء عليها والتعلق بالأولياء وإحياء مظاهر الشرك في الأمة .. فما دوركم في النهي عن هذا الفساد والشرك ؟

ج : هناك فهم خاطئ لعلاقة الأحياء بالأموات ، فجمهور أهل السنة والجماعة لهم رأي في هذا وأقلية من علماء السلف لهم رأي آخر وإن كانوا هم أصحاب الصوت العالي . والحق مع رأي الجمهور فأغلب أهل العلم يرون أن الإنسان إذا مات لم تنقطع صلته بالعالم الدنيوي ولم تنته حاجته لإخوانه المؤمنين ، ولم تنته

Marfat.com

العلاقة له مع الله سبحانه وتعالى خاصة إن كان صالحاً وله مكانة عند الله فإن هذه المكانة لا تنتهي بموته .

ويرون أن زيارة الأموات مستحبة وزيارة خواص الأموات بشكل عام مستحبة بمعنى أن الرسول ﷺ وآله قال : " قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة "، وكان يزور البقيع ، فزيارة القبور في حد ذاتها لا تعتبر شركاً وورد كثير من الأقوال في فضيلة زيارة قبر الوالدين والدعاء لهما .

والأموات عندنا نوعان : منهم من تزوره لتدعو له فهو محتاج إليه وقد قال الرسول ﷺ وآله : " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ... أو ولد صالح يدعو له ... الخ الحديث " وقد مر أيضاً على قبرين فقال : " إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير وجاء بجريدة فشقها نصفين ووضعهما على القبرين، وقال : لعل الله يرحمهما ما لم ييبسا أي بسبب تسبيحهما " وورد عنه ﷺ وآله أنه كان يدعو للموتى إذا مر بالقبور ، ومن الأموات من يكون صالحاً إما نبي وإما ولي . ومن الثابت عندنا أن زيارة قبر النبي ﷺ وآله مستحبة وقد ثبت في تفسير (ابن كثير) الذي يعد من (أئمة السلفية) عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً** ﴾، أن الإمام العتبي كان جالساً بجوار قبر الرسول ﷺ وآله وجاء أعرابي فسلم على الرسول وذكر الآية وأتم : " وإني جئتك مستشفعاً بك إلى الله " ، فأخذت الإمام العتبي سنَةٌ من النوم ورأى النبي في منامه يقول له أدرك الأعرابي وبشره بأن الَله قد غفر له ، فذهب إليه العتبي وأخبره . ومازالت مشروعية زيارة قبر

Marfat.com

الرسول ﷺ ثابتة والسلام على صاحبيه أبي بكر وعمر وفي كتاب (التوسل والوسيلة لابن تيمية) أن عبد الله بن عمر كان إذا سافر ورجع إلى المدينة مر على قبر الرسول المصطفى ﷺ وآله فسلم عليه وسلم على أبيه عمر وعلى أبي بكر وهذه الزيارة مستمرة عند عامة المسلمين وما كان الصحابة والسلف الصالح ليفعلوا الشرك ولا علماء المسلمين عبر الأجيال حتى اليوم وما غاب عنهم الأحاديث التي يتمسك بها السلفية التي أولوها على غير مافهمه السلف الصالح.

كما أننا نعتقد أن هذه الأماكن المدفون فيها الأنبياء والأولياء حري بالدعاء فيها أن يستجاب ، وللإمام الشوكاني قول يبين فيه أن من الأماكن التي يستجاب فيها الدعاء مراقد الصالحين وقد ذكر ذلك في كتاب " تحفة الذاكرين " .

س١٥ : لكن من هم أولئك الصالحون ؟

ج : نتكلم الآن عن الأنبياء والصحابة والأولياء المتفق عليهم لا المشكوك فيهم كقبر الرسول وأبي بكر وعمر وأهل البقيع[1] وهؤلاء لا خلاف على زيارتهم بل هناك اتفاق وإجماع ما عدا مخالفة بعض إخواننا من السلفيين المتشددين ، وسوف يجرنا ذلك إلى بحث مسألة التوسل والوسيلة ، وقد وضع (ابن تيمية) كتاب " قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة " أقر فيها مبدأ التوسل ووضع له قواعد وشروطاً ولم ينكره كلية بل وضع له ضوابط . والتوسل ينحصر في ثلاثة أشياء : التوسل بالعمل ، والتوسل بالحي ، والتوسل بالميت .

فالتوسل بالعمل مشروع كأن تتوسل إلى الله بصالح أعمالك كما

Marfat.com

في حديث الغار والتوسل بالحي مجمع عليه لأن الصحابة كانوا يتوسلون به ﷺ وآله بقولهم (ادع لنا يا رسول الله ، استغفر لنا يا رسول الله وهكذا) . وقد ذم الله المنافقين الذين يستكبرون عن استغفار الرسول لهم وأمر الله رسوله أن يصلي على المؤمنين أي يدعو لهم، والرسول قال لعمر بن الخطاب: " أشركنا في دعائك يا أخي "، ولا يزال الناس يوصي بعضهم بعضاً بالدعاء، وهذا التوسل بالحي الصالح . بقى التوسل بالميت ونسأل هل التوسل بالحي ينفع لذاته أم لقربه من الله ؟ لو قلنا لذاته لأشركنا ، لكننا نقول نفعنا قربه من الله وهذا القرب للرجل الصالح لم ينته بموته كأن أقول (اللهم إني أسألك برضاك عن فلان أن تغفر لي) وهذا ما نقصده بالجاه أو القرب من الله الذي لم ينقطع بالموت . كأن أقول اللهم إني أسألك بجاه رسولك أن تغفر لي (وعندي الأمران سواء) .

س١٦ : إذاً لماذا لم يتوسل عمر بن الخطاب في استسقائه بالرسول بعد وفاته وتوسل بالعباس عم الرسول إذا كان التوسل بالأموات جائزاً ؟

ج : قيل إن السبب في ذلك أمران : الأول أن الاستسقاء يكون خارج المسجد ويكون بمن يدعو ويؤمن الناس على دعائه ، وهذا لا يتوفر في النبي ﷺ وآله لأنه كان خارج المسجد وكان لابد من رجل يدعو ويؤمن الناس عليه، وقيل : إن عمر خشي أن يتوسل بالنبي ﷺ وآله فلا يغاثون فيكون ذلك ذريعة للشك في صدور الناس ، ولكن دعونا نتكلم عن أمرين :

أولاً : الحديث يدل على التوسل بالذات لأن هناك من يقول نتوسل

Marfat.com

بالدعاء وليس بالذات . لماذا اختار عمر العباس ألدعائه أم لذاته ؟ علماً بأن في الصحابة من هو أسبق منه إسلاماً وهجرة وكانت لعمر سوابق عظيمة في الإسلام وغيره من الصحابة، وهذا يدل على أن التوسل ينبغي أن يكون بشخص له صلة بالذات المحمدية فاختار رجلاً من أهل البيت ونريد أن نقول: أن عمر له مواقف كثيرة تدل على ذلك، فقد طلب من عليً أن يزوجه ابنته أم كلثوم لأنه سمع النبي ﷺ وآله يقول: " كل حسب ونسب مقطوع إلى يوم القيامة إلا حسبي ونسبي " وقال أريد أن تكون لي صلة بكم أهل البيت .

كذلك فالتوسل بالأموات الأمر خلافي، وما دام خلافياً فلا يكفر فيه المسلم والجواز يقول به الأغلبية أي يجوز التوسل بالأموات وفئة قليلة هم السلفية أو الوهابية هم الذين يرفضون ذلك ثم إن الشهداء أحياء عند ربهم، بنص القرآن الكريم قال تعالي في (آل عمران آية ١٦٩): ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾ فكيف بالصديقين ؟ وكيف بالأنبياء ؟ وكيف برسول الله ﷺ وآله القائل (الأنبياء أحياء في قبورهم) ﷺ وآله وعليهم أجمعين، وفي ليلة الإسراء صلى بهم ، ورآهم في السموات العلا ﴿ **في مقعد صدق عند مليك مقتدر** ﴾ .

كما أن مسألة " الموالد " ينكرها قلة ويؤيدها الكثير من الناس ويمارسونها وكل فئة عندها دليل فلا يجوز أن نقول هذا شرك أو كفر ما دام فيها خلاف ، كما في أمر وجه المرأة فيه خلاف ، منهم من يقول هو عورة ومنهم من يقول لا ، فلا يمكن أن نعاقب امرأة لأنها كشفت وجهها لأن الأمر مختلف فيه .

Marfat.com

س١٧ : ما يحدث على أرض الواقع بالنسبة للتوسل هو غير ذلك حيث يرى العامة من الناس يطوفون بالمقابر ويقبلون الحديد ويتمسحون بالأضرحة ويستجيرون ويستغيثون بأصحابها فهل هذا من مظاهر الشرك والكفر البواح ؟

ج : لو حدث خلل في إشارات المرور ونتج عن ذلك حوادث هل معنى ذلك إلغاء الإشارات والمرور كله ؟ زيارة القبور مسنونة ، فإذا حدث ذلك هل نمنع الزيارة أم نعلم الناس آداب الزيارة الصحيحة ؟ فالخلاف بيننا وبين إخواننا أنهم يريدون أن يمنعوا الزيارة ونحن نقول لا . بل علموا الناس آداب الزيارة . نتفق معكم أن هناك من يسيء بجهله لزيارة القبور وليس كل الناس فقهاء ومتعلمين ، ونقر بأن هناك جهلة يقبلون الأضرحة ويستغيثون بأصحابها وهذا لا يقتضي أن نقول إن زيارتها حرام وشرك ، بل يجب علينا أن نعلم الناس الصواب ، ثم إن كثيراً من الناس عندما نسأله عن سبب زيارته وتوسله بالولي ، يقول لنا إنه يعتقد أن صاحب القبر له جاه عند الله وقريب من الله وبعضهم قد يسيء التعبير ، لكنه يرجو من الله قضاء حاجته ببركة هذا الولي ، فهو قد أساء التعبير وقد ساق الرسول لنا مثالاً في حديث الرجل الذي ضاعت دابته في الصحراء ونام وقال بعدما وجدها عند رأسه (اللهم أنت عبدي وأنا ربك) ، وضحك الله من مقولة الرجل ولم يقل عنه النبي ﷺ وآله إنه كفر بمقولته هذه ، فأحياناً يندهش المرء من أمر فيعبر بخطأ عن فرحته ، وهؤلاء

Marfat.com

الناس لا يجوز أن نلقي عليهم تهمة الشرك ولكن نقول عنهم (جهال) ويجب علينا أن نعلمهم ، بدليل أن الصحابة كانوا يرون مثل هذه الأمور ولم يتهموا بعضهم البعض وكانوا يعلمون ويتعلمون .

كما لا يجوز لنا أن نعادي الميت فهناك صلة روحية بيننا وبين الأموات لأنهم في عالم البرزخ ونحن نعتقد أن القبر إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار ، فهناك علاقة تربطنا بهم علماً بأن الميت يفرح بالهدية التي تهدى له من الدعاء أو مما ترك من عمل، وكذلك من استغفار الملائكة له في قبره (راجع كتاب الروح لابن القيم) ، وكتاب (حادي الأرواح له) .

ونحن مكلفون بالدعاء للميت والصلاة عليه وإن كنا لا نعرفه ، وهذا يدل على أن انتفاعه بدعائي مستمر ، لماذا أقول رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين ؟ والله يقول لرسول رحمته (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك ، وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم(محمد الآيه ١٩) والرسول الحبيب يقول " أنا أولى بكل مؤمن ومؤمنة في الدنيا والآخرة " والله تعالى يقول ﴿**النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم** ﴾ الأحزاب آية ٦ ، وكان الرسول ﷺ وآله يزور البقيع ويدعو لأهله كثيراً وكذلك فعل الصحابة والسلف الصالح عبر الأجيال حتى يومنا هذا .

س١٨ : كيف نوفق بين هذا القول وبين غضب النبي ﷺ وآله لما قال له الصحابي (لو شاء الله وشئت يا رسول الله) ، وقال له : "

Marfat.com

أتجعلني شريكاً لله " !!

ج : الرد على ذلك بآيات كثيرة أخرى ومنها قوله تعالى : ﴿ **حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون** ﴾ سورة التوبة الآية ٥٩ ، لماذا لم يقل : (سيؤتينا الله ثم رسوله) ، وهناك آيات كثيرة تدل على ذلك ، ودعني أضرب لك مثالاً : لو جاءني شخص وفي قلبه نفاق وقال لي : أنت سيد الكويت !! فإني سوف أقول له : العفو أنا عبد من عباد الله فالكويت فيها أميرها وسيدها ، وأقول له أنا أقل مما قلت وأكبر مما في نفسك .

فالمقصود من قول الرسول ﷺ وآله ذلك ليصحح للصحابي، وقال الله تعالى في آيات كثيرة ﴿ **وأطيعوا الله والرسول** ﴾ فلماذا نتمسك بهذه الجزئيات ونترك الكثير من الآيات وعلينا أن نأخذ الأمور بحسن نيه وإن كان البعض عنده وسوسة من الشرك حتى وصل الأمر بأحدهم حين سئل عن إطراء النبي ﷺ وآله فقال هذا شرك وهذا كفر، فإن هذا مغالاة وبعد برهة يسأله عمن يقول " يا صاحب الجلالة " فيجيب : يجوز تكريم من يستحق التكريم !! يقولون إن تقبيل اليد بدعة إذاً فقبلة الخشم (الأنف) ما حكمها ؟ فلماذا يسكتون عن هذا ويقولون بهذا ؟ فهناك العادات التي تتوارثها الأجيال تختلف من بيئة لأخرى . ولكن هناك سوء ظن بالمسلمين ووسوسة وهناك من الجماعات من يريد أن يفرض الرأي الواحد وهذا يخالف العصر وطبيعته .

س١٩ : يتهم الفكر الصوفي بأنه وراء النهي عن تعلم علوم الكتاب والسنة والتعلق بالعلم اللدني والقول بالتلقي المباشر عن الله مثل

Marfat.com

أمور الكشف وغيرها . فما هو ردكم ؟

ج : لم أقف على كتاب من كتب الصوفية يدعو مؤلفه مريديه لعدم تعلم العلوم الشرعية أو يزهدهم في طلب العلم .

وإذا وجد الشخص الذي يقول بذلك فليس من أئمة الصوفية المعتمدين فعندنا مبدأ "كل يؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر" أي النبي ﷺ وآله وهي مقولة للإمام مالك . والله تعالي يقول ﴿ **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾[1] فكيف نقول نحن أو نحذر من العلم، فأنا أشك في صحة هذا الاتهام لأئمة الصوفية المعتمدين ولو كان حقيقة فيرد على صاحبه ولا يؤخذ منه، لأن المسلم لا يمكن له أن يتعبد الله بغير علم، وكل ما في الأمر أن الخلاف يتمثل في أن الصوفية يؤمنون بوجود العلم اللدني بجانب العلم الشرعي وخصومهم ينكرون العلم اللدني، ولذلك يتهمون الصوفية بأنهم يؤمنون باللدني ويرفضون العلوم الشرعية؛ والحقيقة أن الصوفية يؤمنون بالعلمين (الشرعي واللدني) وغيرهم يؤمنون بالعلم الواحد فقط ونحن نقول هناك علم شرعي معتمد وهناك علم لدني عبارة عن نور يقذفه الله في القلب نتيجة التقوى والاستقامة، وهذا ثابت كما جاء في القرآن في سورة الكهف عن الرجل الصالح الخضر ﴿ **فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما** ﴾[2] وقد كشف الله في سورة الكهف أن هناك حكمة لظواهر الأشياء وحكمة

---

(١) سورة الزمر / ٩ .

(٢) سورة الكهف / ٩٥ .

Marfat.com

أخرى لبواطنها فهي عندنا لها تفسير ولها عند الله تفسير آخر، ولكن نحن مطالبون بالعلم الشرعي، أما العلم اللدني أو الباطني فنحن نسلم به لكننا لا نتعبد الله به ولا نجعله حجة على العباد ونعتبر أنه نوع من الفراسة يهبه الله لمن يشاء مثل الرؤيا التي يستأنس بها ولا يؤخذ منها حكم شرعي والله عز وجل يقول ﴿ **يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ، وما يذكر إلا أولو الألباب** ﴾ البقرة الآية ٢٦٩ .

فمثلاً عندما دخل رجل على عثمان بن عفان فقال لمن هم جلوس معه : (أيدخل علينا الرجل وأثر الزنا في عينيه ؟) ، فقال الرجل : أوحي بعد رسول الله ؟ قال : لا ، ولكنها فراسة المؤمن .

فنحن نعتقد أن الإنسان الذي يستقيم مع الله ويصدق معه يجعل الله له نوراً وشفافية قد يرى بها الأمور بمنظور قريب من الصواب والحكمة أي يُعطى السداد والتوفيق في الأعمال ، كما نقول " الله نَوَّر عليه " ، ولها دليل من القرآن، قال تعالى ﴿ **ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور** ﴾ [1] ، ويقول سبحانه وتعالى ﴿ **أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها** ﴾ سورة الأنعام الآية ١٢٢ , وفي سورة الزمر يقول ﴿ **أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه** ﴾ [2] كما قال تعالى ﴿ **يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً** ﴾ [3] ،

---

(١) سورة النور / ٤٠ .
(٢) سورة الزمر / ٢٢ .
(٣) سورة البقرة / ٢٦٩ .

Marfat.com

ونقـول إن هـناك العلـم اللدني يؤتـاه الخـاصـة من الـناس ولكنـه ليس حجة على العباد وهو شبيه بالعلم الذي كـان عند الرجل الذي كان مع نبي الله سليمان والذي جاء بعرش بلقيس بما لديه من علم من الكتاب ﴿**قـال الذي عـنده علم من الكتـاب**﴾ [1] وهذا العـلم كـرامـة للـعـبـد الصـالح من ربه تعـالى ولا يجب أن نفـاخر به عـلى الناس فهـو هبـة من الله لمن يريد ، والاستقامة عندنا هي عين الكرامة .

س١٩ : وماذا عن مسالة الكشف ؟

ج : يدخل ذلك في بحث الولاية كـأن نقول إنه حصل له كـشف ثم جاء الكشف بعلم حقـيقي أي أن الإنسان إذا صدق مع الله فإن الله يتولاه فيصبح موالياً لله ويصبح ولياً من أولياء الله ، والصـادق يعطي من الله حكمة ونورانية كما نسمع عن الكثير من الصالحين أن أحدهم يشعر بدنو أجله ونشعر بأناس يحذرون من وقوع بعض الأشياء فتقع .

فقد حذر كثير من الصالحين من البلاء الذي سيقع في الكويت قبل وقـوعـه (وهو الغـزو العراقي الآثـم) وقد حـدث ، وهذه الأمـور تعـدها من الأمـور النورانيـة التي تلقى في روع المـؤمن وهي ظنيـة الدلالة وليست قطعيـة الدلالة ، وتـأتي نتيـجـة لشـواهد القـرآن الـكريم الذي أخبـرنا بأن الظالم مـصيره كذا ومن يتق الله مـصيره كذا فـهذا تصـديق لعلوم القرآن ، والجـزاء الدنيوي كالـجزاء الأخروي بيد الـله تعالى يتم تنفيذه متى يشاء .

---

(١) سورة النمل / ٤٠ .

Marfat.com

فالكشف وبقية الأمور التي يتحدث الناس عنها من الكرامات نقول إنها حق وادعاء الناس لها واختصاص بعض الصوفية بها أمر محتمل وجائز الوقوع ولكن يدخل فيه الكذب والدجل والاستغلال السيئ ، ولكنه ثابت شرعاً لأهله لأن هناك من الثوابت " المعجزات للأنبياء والكرمات للأولياء " ، وكون إنسان يدعي الكرامة فهو أمر ظني غير محقق ولست مطالباً بتصديقه ، وقد يكون صادقاً أو كاذباً فأصل الشيء موجود والكرامة هي الشفافية والفراسة ، يقول الرسول ﷺ وآله: " إن من أمتي مُحدّثين وإن منهم لعمر " ، وهذا نتاج للتقوى والاستقامة وكونها عند فلان أو يدعي أنها عنده فهي دعوى موقوفة ، فيجوز أن يكون ذلك غروراً أو مباهاة ، لكن هل نحن نحجر على أن الله يمنح كرامة لأحد؟ حاشى لله .

فقد قال الله تعالى : ﴿ **إن هذا لرزقنا ما له من نفاد** ﴾ (١) وقال جل شأنه لنبيه سليمان ﴿ **هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب** ﴾ (٢). والله أعطى من البشر الكثير وخص أنبياءه بكثير من الآيات والمعجزات ، لكن الخلاف في أنه لا يجوز للإنسان أن يدعي بما لم يعطه الله له، ولا يجوز أن يتفاخر به على عباده، كما لا يجوز أن ننكر عطاء الله أحداً ونتهمه بأنه دجال أو كذاب على اعتبار أنها دعوى غيبية أو باطنية فنكون بذلك قد قتلنا الجانب الروحي في الإسلام، وقد جعل الله الإيمان بالغيب من خصائص هذه الأمة، و لا يصح أن يُصيِّر المسلمون آيات قرآنهم وهم ﴿ **الذين يؤمنون بالغيب** ﴾ مادية بحتة

---

(١) سورة ص / ٥٤ .
(٢) سورة ص / ٣٩ .

Marfat.com

لا تفسر إلا بالمحسوسات وهذا رأي المعتزلة وليس رأي أهل السنة والجماعة والكون ملئ بالأسرار فكيف بكتاب الله تعالى؟....

س٢٠ : هل تأسست الطريقة الرفاعية على برقمة البلبل ؟

ج : قصة (برقمة البلبل) ظهرت على يد أحد شيوخ الطريقة المتأخرين اسمه الشيخ (محمد بهاء الدين الرواس) ، وقد توفي من حوالي (مائتي سنة) كتب هذا الشيخ كتاباً تحت عنوان " برقمة البلبل " وفي هذا الكتاب يتخيل أو يتصور أن أحد الطيور في الحرم يتكلم مع طائر آخر ، وهذا يعد نوعاً من التصور الأدبي كرسالة الغفران (لأبي العلاء المعري) والتي تصور فيها أن هناك مناجاة ومحادثة بينه وبين شئ آخر ، وهذا أسلوب متعارف عليه في علم الأدب ، فالمهم أن السيد الإمام الرفاعي مؤسس الطريقة الرفاعية رحمه الله ولد في عام ٥١٢ هجرية وتوفي في عام ٥٧٨ هجرية يعني في القرن السادس الهجري ، أما صاحب هذا المؤلف فكان في القرن الحادي عشر الهجري ، والطريقة الرفاعية أسست قبل هذا المؤلف بكثير ، وهذا المؤلف صاحب كتب كثيرة ومؤلفات كبيرة في الشعر والنثر والأدب والتصوف الشرعي ، وهو من أكثر الملتزمين بالشرع والحرص على الشرع ومن المجددين الكبار في الطريقة الرفاعية العلية ، ولكن هذا الكتاب كما أشرت جاء صورة خيالية أدبية لهذا الكاتب كمن يناجي الأطلال والطيور وهذا داخل فيما يسمى اليوم (بأدب تشخيص الطبيعة) وهو من أروع فنون الأدب .

س٢١ : إذاً هل تعدونها شطحة من شطحات أحد أتباع الطريقة ؟

Marfat.com

ج : إذا كانت تضمنت ما يخالف الكتاب والسنة فهي شطحة ، أما إذا لم تحو المخالفة للكتاب والسنة فهي عمل أدبي بحت يجوز فيه التخيل والتصور ، فدعونا ندرس هذا الكتاب ونقيِّمه فإن وجدنا فيه ما يخالف الكتاب والسنة تبرأنا منه وكما قلت هو ليس من مؤسسي الطريقة ، بل هو رجل صالح ملتزم بالكتاب والسنة ، وكونه شاعراً أديباً فله في الشعر والأدب باب يتسع للجميع ولا يحجر على أحد .

س٢٢ : وما هي علاقة الطريقة الرفاعية بالحيات والثعابين والسباع ؟

ج : الطريقة الرفاعية مشهور عنها اليوم أمران : ضرب السلاح والسيطرة على الحيات والثعابين والحشرات السامة .

وهذان الأمران لم يكونا في عهد مؤسس الطريقة الذي لم يثبت في مجلسه أنه استعمل فيه السلاح أو الإمساك بالحيات والثعابين .

والمتأخرون من خلفائه حدث عندهم هذان الأمران ، فبعد وفاة السيد أحمد الرفاعي بحوالي (مائة عام) فتح التتار بغداد ٦٥٦هـ وخربوها شر تخريب وقتلوا الكثير من المسلمين ، ومن هنا جاء بعض خلفاء السيد الرفاعي ليثبتوا لهذه الأمة المادية التي لا تؤمن إلا بالمحسوسات (التتار) وبينوا لهم أن هذه القوة التي يتباهون بها يستطيع الله سبحانه أن يسخرها لهم ، فقاموا أمام التتار بعمل أمور كضرب السلاح والإمساك بالحيات والدخول في النيران وغير ذلك من الأعمال التي أوجدت رد فعل لدى التتار ، وكانت سبباً في دخول الكثير منهم الإسلام ، وسبباً في وقف اعتداءاتهم على المسلمين آنذاك ، ومن هنا يمكن القول أن هذا ليس من البدعة في الدين لأنه

Marfat.com

ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي ، حيث إن إبراهيم عليه السلام ألقي في النار فلم تضره ، والله سبحانه قادر أن يسخر النار لرجل صالح من أمة محمد ﷺ وآله ، كما حصل ذَلك كرامة للصحابي (أبي مسلم الخولاني) كما في (صفوة الصفوة لابن الجوزي والزهد للإمام أحمد) وقد سخر الله النار لأتباع السيد أحمد الرفاعي فكانوا ولا يزالون منهم من يدخل النار أو يحملها ولا تضره ولكنه يحملها باسم الله وليس للمباهاة ، بل من الكرامات ، كما أن الناس كانوا يستنكرون أو يستغربون أن موسى عليه السلام كان يمسك الحية ولم تضره ، والآن من أتباع الرفاعي من يفعل ذلك ، فهي معجزة لنبي ولا مانع أن تتم كرامة لولي ، فالأشياء التي سخرها الله للأنبياء فهو قادر أن يسخرها للصادقين الأتقياء . ولذلك هذه القضية عند السادة الرفاعية يستخدمها صاحبها عند الحاجة والضرورة والتحدي ، وأنا شخصياً منهجي الابتعاد عن هذه الأشياء وعدم الحث عليها وأستبعدها نهائياً في مجالسي وأقول إنها إن جازت فهي للتحدي ، وقد حدث ذلك مع خبراء روس جاءوا إلى سوريا وأعلن لهم أتباع الطريقة تحديهم في مقابل الإيمان والدخول في الإسلام وفعلوا ذلك. كذلك فإن مسألة الثعابين إذا كانت لدفع الضرر عن الناس ما بها من بأس .

ونحن الآن بحاجة ماسة لمن يثبت للناس الإيمان ببعض الغيبيات لعلها توقظ ضمائر الغافلين وتقيم الحجة على الماديين والملحدين .

س٢٣ : لماذا اختارت الطريقة الرفاعية بداية خلوتها في يوم الحادي عشر من المحرم الهجري ؟

Marfat.com

ج : أنا لم أتأكد من ذلك ، لكن الذي أعرفه أن النبي ﷺ وآله ، له حديث يحث فيه على صيام المحرم ، فهذا له ربط بالخلوة لأنها لابد أن يصاحبها امتناع أو تقليل من الطعام والشراب ، وكونه أيضاً بداية العام الهجري فتكون بداية التوبة مع السنة الجديدة وكذلك هو من الأشهر الحرم يستحب فيه العمل الصالح وفيه عاشوراء ، فربما تكون هذه هي الأسباب لجعل الخلوة تبدأ فيه ، وإن كنت لا ألاحظ تركيزاً عند المشايخ المتأخرين للطريقة على هذا الموعد والتوقيت .

س٢٤ : ولماذا تمتنعون في الخلوة عن أكل كل ذي روح ؟

ج : قد يظن البعض أن هذا تشبه بالنصارى ، ولكن الحقيقة المتفق عليها طبياً أن أكل اللحوم يقسي القلب وأن أكل الخضروات فوائده أكثر والمطلوب جعل النفس منكسرة خاشعة لله بالتقليل من أكل ذوات الروح فمعناه أن هذا الإنسان يريد أن يبدأ حياة جديدة ويكسر فيها شهواته ويقترب من الله وليس المقصود بها تقليد غيرنا من أصحاب الديانات الأخرى .

س٢٥ : كلمة أخيرة في نهاية الحوار .

ج : أحب أن أقول إن التصوف هو الجانب الروحي في الإسلام فمحاربته وإنكاره تجفيف للجوانب والمنابع الروحية في الشريعة الإسلامية ، وأنه علم من العلوم ومسلك من المسالك أصابه ما أصاب غيره من العلوم من الشطحات ، ويبقى أن المريدين أيضاً بشر يعتريهم ما يعتري غيرهم ، ولكن هذا لا يدعونا أن نبخس الناس أشياءهم أو حقوقهم ، ولا يجوز أن

Marfat.com

ننكر دور الصوفية والتصوف في نشر الإسلام في مناطق كثيرة كأفريقيا وشرق آسيا وفي بلاد الغرب ، وأحب أن أبين أن التصوف ليس عقيدة ، بل هو زيادة في الجانب التعبدي والروحي في العلاقة مع الله ، والرجل الصوفي هو مؤمن متبع للكتاب والسنة عقيدته عقيدة أهل السنة والجماعة يتعبد الله على أحد المذاهب الأربعة ، ويزيد عن غيره أنه يفرض على نفسه (زيادة تعبد وأوراد وطاعات) في (مقام الإحسان) وكما جاء في الحديث القدسي (وما يزال عبدي يتقرب إلَيَّ بالنوافل حتى أحبه) كما سبق بيانه لا أكثر ولا أقل ، وليس له مذهب يزيد عن مذاهب المسلمين ، بل يزيد المريد على نفسه في التكاليف ليتقرب إلى الله عز وجل ، ولا بد أن نقول إنه وللأسف الشديد لا توجد أمة يُحارب بعضها بعضاً مثل الأمة الإسلامية اليوم التي فاقت غيرها من اليهود والنصارى في الاقتتال وتصدير النشرات والكتب في تكفير بعضنا البعض وإلقاء تهم الشرك والكفر على بعضنا وهذا هو سبب من أسباب تأخر المسلمين في الوقت الذي لا نوجه جهودنا لمحاربة المنكرات ومحاولة نشر الإسلام في الغرب بالحكمة والموعظة الحسنة كما ينبغي .

وأنا على استعداد لمناقشة هذا الفكر عن طريق مناظرة علنية بيننا وبين علماء السلف لنزيح هذا اللبس حول الصوفية والتصوف ... بتوفيق من الله الكريم .

Marfat.com

الخاتمـــــة

١ ـ ونختـتم كـتـابـنا هذا برأي قـيم عـن (مـوقف السلف الصـالح من الصوفية) كـتبه ونشره الشيخ الدكـتور العلامة محمد سـليمان فرج كـبيـر الوعـاظ بوزارة الأوقـاف والشـئون الإسـلاميـة والداعـيـة الإسلامي المعـروف في دولة الإمارات المتحـدة في مجلة الوزارة المسماة : (منار الإسلام) الصادرة في أبو ظبي بتاريخ ربيع الآخر سنة ١٤١٢هـ الموافق اكتوبر ١٩٩١ - العدد الرابع السنة (١٧) .

٢ ـ ثم ببحث قـيم للشيخ العلامة محمـد بن الصديق الغمـاري الحسني من كـتـابه (حسن التلطف في بيـان وجـوب سلوك التصـوف على جميع المسلمين) .

حيث يقرر أن التصوف هو الأصل الثالث من أصـول الدين يجب على الأمـة القـيـام به لا يكتـمل الـدين إلا به حـيث هو (مـقـام الإحسـان) ، بعد مقـام الإيمان ومقـام الإسلام ، ويقدم لذلك ثمـانية براهين دامغة .

Marfat.com

أولاً : بحث الشيخ الدكتور العلامة / محمد سليمان فرج
موقف السلف الصالح من الصوفية

قد يخطئ كثير من الناس في الحكم على الصوفية ويظن أنهم طائفة خارجة على الإسلام وذلك ربما يكون بحسن نية لما يسمعه ممن لا علم لهم بحقائق الأمور ولذلك لابد من تجلية هذا الأمر في أذهان من التبس عليهم شأنهم ؛ فأستعين بالله تعالى وأتبرأ إليه من حولي وقوتي قاصداً وجه الله تعالى متحرياً الحق ما استطعت إلى ذلك سبيلا مشيراً إلى بعض الحقائق الثابتة ؛ محاولاً التقريب بين وجهات النظر ملتمساً العذر للباحثين عن الحقيقة في هذا الموضوع مادام قصدهم الوصول إلى الصراط المستقيم ، لأن صادق النية له أجر إذا كان متجرداً من الهوى والتعصب باحثاً عن الحقيقة مُذْعناً لها أينما كانت وأن الهدف الأساسي من هذا البحث هو جمع كلمة المسلمين ووحدتهم وإيجاد روح المحبة والتعاون بينهم حتى نتفرغ لأعدائنا ونستجمع قوتنا لتخليص (بيت المقدس) وأرضنا السليبة ومؤازرة إخواننا المسلمين في أفغانستان وفي كل مكان من أرض الله التي يذكر فيها اسمه لأنَّ عدونا واحد ، ثم إن عقيدتنا واحدة فإلهنا واحد ودِيننا واحد وقبلتنا واحدة ونبينا واحد ﷺ وآله وكتابنا واحد ، ولا يريد أعداؤنا منا أكثر من الخلاف وضياع الوقت في الجدال وتمزيق الأمة حتى ننشغل بهذه الأمور الجانبية عن الأمور الكبيرة التي يجب علينا أن نجاهد من أجلها .

وإنه من الأمور البديهية والمسلمات الثابتة التي لا اختلاف فيها أن

Marfat.com

المسلم يجب أن يُحمل حاله على أحسن الوجوه ، وأن تُلْتَمسُ له المعاذير لتبرير وجهة نظره إذا وجدنا إلى ذلك سبيلا ، وخاصة إذا نفى عن نفسه الباطل وأعلن ولو بصفة إجمالية أنه يريد الحق ويؤمن به ، وذلك يتجلى فيما قال ﷺ وآله لأسامة ابن زيد : وقد قتل رجلاً بعد أن نطق بالشهادة : (أفلا شققت عن قلبه ؟) ، ولم يقبل تعليل أسامة بأنه قالها خوفاً من السيف .

وظل ﷺ وآله يعنفه ويلومه على ذلك مع أن حالة الرجل ونطقه بالشهادة بعد أن تمكن منه أسامة بن زيد توحي بأنه قالها تقية بعد أن تمكن منه ، وانتصر عليه ولكن الإسلام يضع لنا منهجاً ربانياً قويماً ولأن نخطئ في العفو خير من أن نخطئ في العقوبة وأنه يجب علينا أن نكل بواطن الأمور إلى الله ونحكم للمسلم بما أعلنه عن نفسه وجعله شعاره وعنوان عقيدته وليس لنا أن نحمل حاله على شئ آخر مهما كانت الأسباب وهذه الأمور تنطبق على حالة الصوفية وما يصلنا من أقوالهم وأحوالهم ، فإنك لو سألت أي أحد من هؤلاء القوم أو ممن ينتسب إليهم هل هناك أدني مخالفة للكتاب والسنة يعتقدها الصوفية لأجابك الجميع بشدة ويقين أنه ليس للصوفية أي ابتداع في الدين أو مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وآله ، وإجماع السلف الصالح وسيرتهم .

أتباع الكتاب والسنة :

١ ـ وإليك بعض أقوال أئمتهم : يقول (الإمام أبو القاسم الجنيد) الملقب بسيد الطائفة : الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى آثار رسول الله ﷺ وآله وقال : من لم يحفظ القرآن

Marfat.com

ويكتب الحديث لا يقتدي به في هذا الأمر ـ أي التصوف ـ لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة .

٢ ـ وقال (سهل بن عبد الله التستري) : كل فعل يفعله العبد بغير اقتداء ـ أي بالمعصوم ﷺ وآله فهو عيش النفس أي من هوى النفس لا يقبله الله تعالى وسهل من كبار أئمة الصوفية [١] .

٣ ـ وقال (أبو العباس أحمد بن أبي الحواري) : من عمل عملاً بلا اتباع سنة رسول الله ﷺ وآله فباطل عمله .

٤ ـ وقال (أبو الحسن النوري) : من رأيتموه يدعي مع الله عز وجل ما يخرجه عن حد العلم الشرعي فلا تقربوا منه (وأبو الحسن من أئمة الصوفية) .

٥ ـ وقال (ابن عطاء الله السكندري) : من ألزم نفسه آداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب ﷺ وآله في أوامره وأفعاله وأخلاقه .

٦ ـ وقال (أبو حمزة البغدادي) : لا دليل على الطريق إلى الله إلا متابعة رسول الله ﷺ وآله في أحواله وأقواله وأفعاله .

٧ ـ وقال (أبو القاسم النصر آباذي) عالم خراسان : أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع وترك الرخص والتأويلات .

٨ ـ وقال (حجة الإسلام أبو حامد الغزالي) عن الصوفي : إن سالك سبيل الله قليل والمعنى فيه كثير ونحن نعرفك علامتين له .

---

(١) وهو ممن أثنى عليهم الشيخ ابن تيمية في كتابه عن التصوف ـ هو والشيخ عبدالقادر والشيخ الجنيد وغيرهم. راجع الجزء (١٠، ١١) من فتاوى الشيخ ابن تيمية .

Marfat.com

الأولى: أن تكون جميع أفعاله موزونة بميزان الشرع موقوفة على توقيفاته إيراداً وإصداراً وإقداماً وإحجاماً إذْ لا يمكن سلوك هذا السبيل إلا بعد التلبس بمكارم الشريعة كلها، والثانية : لا يصل فيه إلا من واظب على جملة من النوافل فكيف يصل إليه من أهمل الفرائض .

وقال (الإمام التستري) : أصول طريقتنا ـ أي الصوفية ـ سبعة : التمسك بالكتاب والاقتداء بالسنة وأكل الحلال وكف الأذي وتجنب المعاصي ولزوم التوبة وأداء الحقوق .

٩ ـ وقال (أبو حفص) أحد كبار الصوفية : من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة ولم يهتم بخواطره فلا يعد في ديوان الرجال .

١٠ ـ وقال (الشيخ محيي الدين بن عربي) : لا يرجو الوصول من لم يتابع الرسول ﷺ وآله

١١ ـ ويقول (أبو يزيد البسطامي) : لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرقى في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة .

١٢ ـ ويقول (أبو الحسن الشاذلي) : إذا تعارض كشفك مع الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف وقل لنفسك إن الله تعالى ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة ولم يضمنها في جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة إلا بعد عرضها على الكتاب والسنة ، إلى غير ذلك من الأقوال الكثيرة التي تبين أن الاستقامة على الشريعة المطهرة هي أفضل من أي كرامة وهو ما أكده أئمة الصوفية الكرام .

Marfat.com

أدعيـاء التصـوف

وبناءً على ذلك نرى أن كل ما يخالف الإسلام في شئ فلا تصح نسبته إلى الصوفية والتصوف وإنما هو من ضلالات المدعين الذين انتسبوا للتصوف زوراً وبهتانا أو من الأمور المدسوسة على كتبهم بقصد الطعن في هؤلاء القوم وتشويه صورتهم والتهجم عليهم كما حدث في كتب التفسير من الإسرائيليات التي تتنافى مع ما عرف عن هؤلاء المفسرين من حرص على بيان الحق والبعد عن هذه المرويات الملفقة ، وكذلك ما جاء في كتب الحديث من الأحاديث الموضوعة وقام العلماء الأجلاء ببيانها ، ولذلك فإني أرى أن الهوة بينا وبين المعارضين للتصوف نشأت من اقتناعهم بأن هذه الأقوال الباطلة هي من صميم آرائهم ولو أنهم وضعوا الأمور في نصابها ونظروا نظرة فاحصة مستبصرة لوجب عليهم ألا يلصقوا هذه الأقوال الشنيعة بهؤلاء القوم ويحسنوا الظن بهم ، وخاصة أنهم قد لقوا ربهم وأصبحوا بين يدي الله تعالى وأفضوا إلى ما قدموا عليه .

افتـراء وكـذب

وإليك بعض الأمثلة على ذلك الدس والافتراء على هؤلاء القوم يقول (الشيخ عبد الوهاب الشعراني) في كتابه لطائف المنن : (ومما مَنَّ الله تبارك وتعالى عليك صبري على الحسدة والأعداء لما دسوا في كتبي كلاماً يخالف ظاهر الشريعة وذلك لما صنفت كتاب : (البحر المورود في المواثيق والعهود) وكتب عليه علماء المذاهب الأربعة بمصر مؤيدين وتسارع الناس لكتابته فكتبوا منه نحو أربعين نسخة من

Marfat.com

نسخته وكتبوا لهم منها بعض كراريس ودسوا فيها عقائد زائفة ومسائل خارقة لإجماع المسلمين وحكايات وسخريات عن جحا وابن الراوندي وسبكوا ذلك في غضون الكتاب في مواضيع كثيرة حتى كأنهم المؤلف ، ثم أخذوا تلك الكراريس وأرسلوها إلى سوق الكتب في يوم السوق وهو مجمع طلبة العلم فنظروا في تلك الكراريس ورأوا اسمي عليها فاشتراها من لا يخشى الله تعالى ثم دار بها علي علماء جامع الأزهر فأوقع ذلك فتنة كبيرة، ومكث الناس يدورون في المساجد والأسواق وبيوت الأمراء نحو سنة وانتصر لي الشيخ (نصر الدين اللقاني وشيخ الإسلام الحنبلي والشيخ شهاب الدين بن الحلبي) كل ذلك وأنا لا أشعر ؛ فأرسل لي شخص من المحبين بالجامع الأزهر وأخبرني الخبر فأرسلت نسختي التي عليها خطوط العلماء مؤيدين لي فنظروا فيها فلم يجدوا فيها شيئاً مما دسه هؤلاء الحسدة ... الخ .

وذلك في كتابه : (لطائف المنن والأخلاق) ج٢ ص ١٩٠ ، وقد ذكر ذلك أيضاً (المؤرخ الكبير عبد الحي بن العماد الحنبلي) في كتابه (شذرات الذهب ج٨ ص ٣٧٤) حيث قال : (وحسده طوائف فدسوا عليه كلمات تخالف ظاهر الشرع وعقائد زائغة ومسائل تخالف الإجماع فخذلهم الله وأظهره الله عليهم وكان مواظباً على السنة مبالغا في الورع ...) الخ .

Marfat.com

ودسوا على الشيخ محيي الدين بن عربي

ومن ذلك يتبين واضحاً جلياً أن كل ما نراه في الكتب منسوباً إليهم وهو مخالف للشرع كما في (الطبقات الكبرى للشعراني) فهو من وضع الزنادقة وقد جاء في كتاب (حقائق عن التصوف للشيخ عبدالقادر عيسى) ص ٥٠٨ وكذلك دسوا على الشيخ محيي الدين بن عربي رحمه الله قال (الشعراني) " كان رضي الله عنه متقيداً بالكتاب والسنة ويقول : كل من رمى ميزان الشريعة من يده لحظة هلك " فقد دسوا عليه كما أخبرني بذلك (سيدي أبو طاهر المغربي) ثم أخرج لي نسخة الفتوحات المكية التي قابلها على نسخه الشيخ التي بخطه في مدينة قونية فلم ير فيها شيئاً مما كنت توقفت فيه وحذفته حين اختصرت الفتوحات كما جاء في اليواقيت والجواهر جـ١ ص ٩ .

كما دسوا على رابعة

وذكر (العلامة ابن عابدين) الفقيه الحنفي وصاحب أكبر موسوعة في الفقه الحنفي أن الراجح عنده بالسنة لما ورد في كتب الشيخ محيي الدين بن عربي مما يخالف الشرع بأنه مفترى عليه ؛ ولذلك تجد نص عبارة (صاحب الدر المختار ج٣ ص ٣٠٣ خ) " لكن الذي تيقنته أن بعض اليهود افتراها على الشيخ قدس الله سره " بل إن ابن تيميه نفسه يعترف بالدس على السيدة رابعة العدوية حيث يقول : (وأما ما ذكر عن رابعة من قولها عن البيت الحرام إنه الصنم المعبود في الأرض فهو كذب على رابعة المؤمنة التقية) وذلك في كتاب مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيميه ج١ ص ٨٠ .

Marfat.com

كلمــة الصــوفيـــة وسببهـا :

وأما بالنسبة للتسمية التي كثر حولها الخلاف فنكتفي بما قاله الإمام الشاطبي ناقلاً عن أبي القاسم القشيري في كتاب الاعتصام ج١ ص ٨٩ ما يلي : (إنهم إنما اخْتُصُّوا باسم التصوف انفراداً به عن أهل البدع فذكر أن المسلمين بعد رسول الله ﷺ وآله لم يتسم أفاضلهم في عصرهم باسم عَلَم سوى الصحبة إذ لا فضيله فوقها ثم سمي من يليهم بالتابعين ورأوا هذا الاسم أشرف الأسماء ، ثم قيل لمن بعدهم أتباع التابعين ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية في الدين : الزهاد والعُبَّاد قال : ثم ظهرت البدع وادعى كل فريق أن فيهم زهاداً وعباداً فانفرد خواص أهل السنة المراعين أنفاسهم مع الله الحافظين قلوبهم عن الغفلة باسم التصوف والصوفية.

وقد ذكر الشيخ محمد الحافظ التيجاني في كتابه : أهل الحق : قال الشيخ ابن تيميه في رسالته الصوفية والفقراء ص ١٨ طبع المنار سنة ١٩٢٨م عن اصطلاح القوم : وهم يسيرون بالصوفية إلى معنى الصِّدِّيق وأفضل الخلق بعد الأنبياء الصديقون ولا مشاحة في الاصطلاح فمن جمع بين صفاء العلم في أعلى مرتبة من الشهود الجامع لعلم اليقين وعين اليقين وصفاء العمل في أسمى مرتبة من الإخلاص وصفاء الحال في ذروة الصدق والحب الإلهي والمحبوبية فادعه من الربانيين أو قل من الصديقين أو ادعه صوفياً فلا جناح عليك فالمسمى واحد وإن اختلفت الأسماء .

Marfat.com

شهادة علماء الإسلام

وهذه شهادة علماء الأمة الإسلامية لمنهج التصوف والصوفية ونبدؤهم بالأئمة الأربعة رحمهم الله تعالى فقد نقل الفقيه الحنفي الحصكفي صاحب الدر المختار : أن أبا على الدقاق رحمه الله تعالي قال : أنا أخذت هذه الطريقة من أبى القاسم النصر آباذى وقال أبو القاسم : أنا أخذتها من الشبلي ، وهو من السري السقطي وهو من معروف الكرخى ، وهو من داؤد الطائي ، وهو أخذ العلم والطريقة من أبي حنيفة رضي الله عنه وكل منهم أثنى عليه وأقر بفضله ، ثم قال : صاحب الدر معلقاً : فيا عجبا لك يا أخي ! ألم يكن لك أسوة حسنة في هؤلاء السادات الكبار ؟ أكانوا متهمين في هذا الإقرار والافتخار وهم أئمة هذه الطريقة وأرباب الشريعة والحقيقة ؟ ومن بعدهم في هذا الأمر فلهم تبع ، وكل ما خالف ما اعتمدوه مردود مبتدع وذلك في كتاب الدر المختار ج ١ ص ٤٧٣ وعليه حاشية ابن عابدين .

وقال الإمام مالك : (من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن جمع بينهما فقد تحقق) وذلك في كتاب : (الشفا للقاضي عياض) شرح ملا علي القارئ ج ٥ ص ٤٠٨ وذكرها أيضا في كتابه (عين العلم زين الحلم) ج ١ ص ٢٣ ونقلها كذلك العلامة العدوى على شرح الإمام أبي الحسن في الفقه المالكي ج ٢ ص ١٩٥ وجاء عن الإمام الشافعي قوله : (حُبِّبَ إليَّ من دنياكم ثلاث: ترك التكلف وعشرة الخلق بالتلطف والاقتداء بطريق أهل التصوف) وذلك في كتاب : (كشف الخفا ومزيل الإلباس فيما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس) للعجلونى ج ١ ص ٣٤ ونقل العلامة

Marfat.com

محمد السفارينى الحنبلي عن إبراهيم بن عبد الله القلانسي أن الإمام أحمد بن حنبل قال عن الصوفية : (**لا أعلم أقواما أفضل منهم قيل : إنهم يستمعون ويتواجدون؟ قال دعوهم يفرحوا مع الله ساعة**) وهذا في كتاب : غذاء الألباب شرح منظمة الآداب ج ١ ص ١٢٠ **فهذه أقوال الأئمة الأربعة رحمهم الله تعالى في بيان فضل علم التصوف ومنزلة السادة الصوفية في الإسلام .**

نماذج على سبيل المثال

وقال المفسر الكبير **فخر الدين الرازى** في كتابه : (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين) ج٢ الباب الثامن في **أحوال الصوفية : " المتصوفة قوم يشتغلون بالتفكر وتجرد النفس عن العلائق الجسمانية ويجتهدون ألا يخلو سرهم وبالهم عن ذكر الله تعالي في سائر تصرفاتهم وأعمالهم ، منطبعون على كمال الأدب مع الله تعالي ، وهؤلاء هم خير فرق الآدميين " والإمام الفخر الرازى هو من تعرف الأمة مكانته العلمية وفقهه ومؤلفاته وعقيدته الإسلامية الصحيحة .**

وجاء في كتاب (نور التحقيق) للشيخ حامد صقر ص ٩٦ : **قال سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالي : قعد القوم من الصوفية على قواعد الشريعة التي** لا تنهدم دنيا وأخرى وقعد غيرهم على الرسوم .. والعز بن عبد السلام هو العالم العظيم والمجاهد الكبير والفقيه المعروف وقد شهد له كل علماء الإسلام بأنه سلطان العلماء وقال الشيخ تاج الدين السبكي عالم الأصول في كتابه (مفيض النعم ومبيد النقم) ص ١٩٩ **متحدثا عن الصوفية : والحاصل أنهم أهل الله وخاصته الذين ترتجي الرحمة بذكرهم،**

Marfat.com

ويستنزل الغيث بدعائهم فرضي الله عنهم وعنا بهم) .

والإمام السبكي من كبار الفقهاء وعلماء الأصول المدافعين عن السنة بإجماع كثير من العلماء وقال الإمام جلال الدين السيوطي في كتابه : تأييد الحقيقة العلية ص ٥٧ : (وقد تأملت الأمور التي أنكرها أهل الشرع على الصوفية فلم أر صوفيا محققا يقول بشيء منها وإنما يقول بها أهل البدع والغلاة الذين ادعوا أنهم صوفية وليسوا منهم) .

والإمام السيوطي هو المحدث والمفسر والفقيه وعالم القراءات والحافظ الذي شهد له الجميع ويقول **أبو الأعلى المودودى في كتابه (مبادئ الإسلام)** ص ١١٤ : (**فليس التصوف الإسلامي الخالص بشيء مستقل عن الشريعة وإنما هو القيام بأحكامها بغاية من الإخلاص وصفاء النية وطهارة القلب**) وأبو الأعلى المودودى ليس متهما بالتحيز لهؤلاء الصوفية ويقول الشيخ محمد أبو زهرة في مجلة لواء الإسلام العدد ١٢ سنة ١٩٦٠ ص ٧٥٨ (وذلك يوجب علينا أن نتجه إلي الصوفية كعلاج أخير لوقاية الشباب من الفساد ولا أعتبر أن هناك علاجا أجدى من ذلك) ـ والشيخ أبو زهرة من الفقهاء المعاصرين المشهورين بالحيدة والإنصاف وقد كان أستاذ الشريعة في كلية الحقوق جامعة القاهرة .

هذا وقد جاء في كتاب : (العهد الوثيق لمن أراد سلوك أحسن طريق) للشيخ **محمود خطاب السبكي مؤسس الجمعية الشرعية بمصر** ص ٣٠ : اعلم أن التصوف المتقدم ذكره عرف أيضا بتعاريف أخر منها : (أنه الجد في السلوك إلي ملك الملوك مع الأخذ بالأحوط من الأحكام إلي أن قال : ولذا ، قالوا : **الصوفية قعدوا على الدعائم**

Marfat.com

الأصلية ووقف غيرهم على الرسوم ومن هنا فازوا فوزا عظيما وبلغوا من الكمالات ما لم يصل إليه غيرهم ، ولكن لا سبيل لك أيها الإنسان إلي ذلك إلا بمجاهدة النفس ليلا ونهارا بهمة قوية) ، والشيخ خطاب السبكي من الذين عرف عنهم واشتهر بمحاربته للبدع والخرافات .

وقال الإمام النووي شارح صحيح مسلم وصاحب كتاب رياض الصالحين : (أصول طريق التصوف خمسة) تقوى الله في السر والعلن ، واتباع السنة في الأقوال والأفعال ، والإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار ، والرضى عن الله في القليل والكثير ، والرجوع إلي الله في السراء والضراء ، وذلك في كتابه (المقاصد في التوحيد والعبادة وأصول التصوف) ص ٢٠ والإمام النووي هو علامة عصره وحجة كبرى في الفقه الشافعي وعلم الحديث وجاء في كتاب الصوفية والسلفية للشيخ إبراهيم اليوسف . ثم تكلم ابن تيميه رحمه الله تعالي عن المتصوفة فقال في المجلد الحادي عشر من الفتاوى الكبرى وسيرتهم وأخلاقهم كقول بعضهم : الصوفي من صفا من الكدر وامتلأ من الفكر. وهكذا إلي أن قال ابن تيمية في ص ١٧ في المجلد الحادي عشر من (الفتاوى الكبرى) :-

(فطائفة ذمت الصوفية والتصوف وقالوا: إنهم مبتدعون خارجون عن السنة ، ونقل عن طائفة من الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معروف ، وطائفة غلت فيهم وادعوا أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء وكلا طرفي هذه الأمور ذميم ، والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده ، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين ، وفى كل

Marfat.com

من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه وعاص لربه وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم) وقد تكلم ابن تيميه عن بعض أحوال المتصوفة الصادقين كما جاء في المجلد العاشر من الفتاوى الكبرى ص ٢١٨ فقال إن الفناء ثلاثة أنواع :

(نوع للكاملين من الأنبياء والأولياء ، ونوع للقاصدين من الأولياء والصالحين ونوع للمنافقين الملحدين المشبهين ، فالأول : هو الفناء عن إرادة ما سوى الله بحيث لا يحب إلا لله ولا يعبد إلا إياه ولا يتوكل إلاَّ عليه ، ولا يطلب غيره ، وهو المعنى الذي يجب أن يقصد بقول الشيخ أبى يزيد البسطامى حيث قال " أريد أن لا أريد إلا ما يريد " .

وأما النوع الثاني **فهو الفناء عن شهود السوى** هذا يحصل لكثير من السالكين وذلك لفرط انجذاب قلوبهم لذكر الله وعبادته ومحبته وضعف قلوبهم عن أن تشهد غير ما تعبد ، وترى غير ما تقصد ، ولا يخطر بقلوبهم غير الله) ويراجع نص كلامه هنا إلي أن قال :

وأما النوع الثالث : **مما قد يسمي فناء** : أن يشهد أن لا موجود إلا الله وأن وجود الخالق هو وجود المخلوق فلا فرق بين الرب والعبد فهذا فناء أهل الضلال والإلحاد الواقعين في الحلول والاتحاد) .. وبذلك يتضح موقف ابن تيميه من التصوف وأنه يحارب المدعين فقط .

وجاء في كتاب (عوارف المعارف) للسهروردى عن الصوفية : (ثم إن إيثاري لهدى هؤلاء القوم ومحبتي لهم بشرف حالهم وصحة طريقهم المبنية على الكتاب والسنة).

Marfat.com

وكذلك جاء في (رسائل الإخوان المسلمين) عن الإمام الشهيد حسن البنا فقد كان أخذ الطريقة الشاذلية من الشيخ الحصافِي ويظهر ذلك جليا في أوراده ومأثوراته .

أثر الصوفية في المجتمع

ويقول أبو الحسن الندوي في كتابه : (المسلمون في الهند) ص ١٤٠ : إن هؤلاء الصوفية كانوا يبايعون الناس على التوحيد والإخلاص واتباع السنة .. وقال أيضاً في كتابه : (**روائع إقبال**) ص ٧ ولولا وجودهم وجهادهم لابتلعت الهند بحضارتها وفلسفتها الإسلام.

والشيخ (أبو الحسن) ليس ممن يخدع بزيف من القول بل هو العالم المحقق والمجاهد الكبير . وقال الأمير (**شكيب أرسلان**) في كتابه : (**حاضر العالم الإسلامي**) ج٢ ص ٣٩٣ : (وأن أسباب هذه النهضة الأخيرة - في أفريقيا - راجعة إلى التصوف والاعتقاد بالأولياء) والأمير شكيب أرسلان من المجاهدين والعقلاء المعروفين والمشهورين ويقول (**رشيد رضا**) في (مجلة المنار) السنة الأولى ص ٧٢٦ : (لقد انفرد الصوفية بركن عظيم من أركان الدين لا يطاولهم فيه مطاول وهو التهذيب علماً وخلقاً وتحققاً). والشيخ رضا لم يكن متحيزاً لهؤلاء القوم بل كان منصفاً في قوله كلمة الحق التي لا بديل عنها.

ويقول الشيخ (**محمد عبده**) : ظهر التصوف في القرون الأولى للإسلام فكان له أثر عظيم وكان المقصود منه في أول الأمر تقويم الأخلاق وتهذيب النفوس وترويضها بأعمال الدين وجذبها إليه ... وهذا ما ذكره الشيخ على محفوظ في كتابه (**الإبداع في مضار**

Marfat.com

الابتداع) ـ والشيخ محمد عبده لم يكن مبالغاً في هذا القول بل قال كلمة حق لما رآه من صدق الصوفية واتباعهم للكتاب والسنة ، وكذلك الشيخ علي محفوظ كان من المحاربين للبدع ويقول **الإمام عبد القاهر البغدادي** في كتاب (الفرق بين الفرق) ص ١٨٩ : في بيان أصناف أهل السنة والجماعة : (والصنف السادس منهم الزهاد والصوفية الذين أبصروا فأقصروا واختبروا فاعتبروا فاعتبروا دينهم التوحيد ونفى التشبيه) . إلى أن قال :) ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم (سورة الجمعة / ٤ والإمام البغدادي هو من أجل العلماء قدراً وكتابه هذا من أوثق الكتب المعتمدة.

أئمة الحركة السلفية

وقد كتب الشيخ عبد الحفيظ المكي من علماء مكة المكرمة كتابه : (موقف أئمة الحركة السلفية من التصوف والصوفية) ، وذكر أقوال الشيخ محمد عبد الوهاب وابن تيميه وابن القيم وابن رجب الحنبلي وابن كثير والحافظ الذهبي وأخيراً ذكر رأي الإمام أحمد بن حنبل وقد قال في المقدمة :-

(وهكذا نسمع بين حين وآخر من ينادي بأن التصوف كله باطل وأن الصوفية طائفة زائفة لا علاقة لها بالإسلام ، بل إنهم أعداء للدين وأن أصلهم من اليونان أو بوذية الهند .. إلى آخر ذلك من الترهات . وهذا كله أيضاً مع الأسف الشديد باسم (السلفية المسكينة) .

مع أن الواقع بخلاف ذلك ، فإن الصوفية عند أئمة الحركة السلفية وسادتهم طائفة إسلامية مثل بقية الطوائف الإسلامية الأخرى كالمحدثين والفقهاء والمتكلمين والمؤرخين والمجاهدين وغيرهم ،

Marfat.com

فيهم المصيب والمخطئ ، والصالح والطالح ، والأصلي والمزيف ولكن إذا أطلق اللفظ فإنه يراد به دائماً : الصالح والمصيب والصحيح منهم ، فمثلاً لو قلنا : (المحدثون) فالمراد بهم عند الجميع : المحدثون الصالحون الذين حفظوا على الأمة أحاديث رسول الله ﷺ وآله وخدموها وبلغوها ونشروها بالطريقة المرضية كالأئمة : البخاري ومسلم والترمذي وابن حجر العسقلاني والسيوطي والكاندهلوي وغيرهم) .

(ولا يراد بكلمة (المحدثون) مطلقاً ، عند أي أحد ، أولئك (الدجالون الكذابون الوضاعون) المنتسبون زوراً إلى هذه الطائفة الكريمة ، والذين قد بين فسادهم ودجلهم أئمة الجرح والتعديل في كل عصر وزمان هذا كما هو معلوم للجميع .

وهكذا هو الحال في الفقهاء والمتكلمين والمجاهدين والمؤرخين وغيرهم من طوائف المسلمين وهكذا يجب أن يكون المراد منهم : الفضيل بن عياض ومعروف الكرخي وأبو سليمان الداراني وبشر الحافي وعبد القادر الجيلاني والجنيد والبغدادي وغيرهم ممن سار على نهجهم القديم فهم فقهاء وصوفية معاً لاهتمامهم بالعلمين .

ولا يراد بالصوفية البتة أولئك الدجالون المخرفون المخالفون لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وآله الدخلاء على التصوف وقطاع الطريق إلى الله والدار الآخرة .

فهذا هو قول الحق ومنهج الصدق وسلامة الفكر والإنصاف التام لهؤلاء الذين هم علماء الأمة ومجاهدوها ولن تجد عالماً أو مجاهداً أو تقيا قدم للإنسانية أعظم النفع بعد التابعين إلا وينطبق عليه ذلك الوصف العظيم) أهـ.

Marfat.com

رأي الشيخ محمد بن عبد الوهاب

وهذا هو رأي (الشيخ محمد عبد الوهاب) في (التصوف والصوفية) وثناؤه عليهم كما جاء في القسم الثالث من مؤلفات الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب جزء (فتاوى ورسائل) في الصفحة ٣١ المسألة الخامسة ، وسئل رحمه الله عن مسائل مفيدة فأجاب : (اعلم أرشدك الله أن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً ﷺ وآله بالهدى الذي هو العلم النافع ، ودين الحق الذي هو العمل الصالح .

فإذا كان من ينتسب إلى الدين : منهم من يتعانى بالعلم والفقه ويقول به كالفقهاء ومنهم من يتعانى العبادة وطلب الآخرة كالصوفية ، فبعث الله نبيه بهذا الدين الجامع للنوعين (أي الفقه والتصوف) .

وهكذا يثبت الشيخ محمد عبد الوهاب أن الصوفية سندهم هو رسول الله ﷺ وآله وإليه ينتسبون .

وجاء أيضاً : في (ملحق المصنفات) " هذه مسائل " في صفحة ١٢٤ قوله:

" ولهذا كان مشايخ الصوفية العارفون يوصون كثيراً بمتابعة العلم، قال بعضهم : " ما ترك أحد شيئاً من السنة إلا لكبر في نفسه " .

وهذا هو العلامة ابن القيم يعتبر من كبار الصوفية كما ذكر الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي في الذيل على طبقات الحنابلة (الجزء الثاني) صفحة ٤٤٨ عن ترجمة ابن القيم بقوله : (وكان عالماً بعلم السلوك وكلام أهل التصوف وإشاراتهم ودقائقهم ، له في كل فن من هذه الفنون اليد الطولي) .

Marfat.com

وجاء في كتاب : (مدارج السالكين) عن تعريف التصوف لابن القيم في الجزء الثاني من صفحة ٣٠٧ ما نصه :

(الدين كله خلق ، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين ، وكذلك التصوف قال الكتاني : التصوف : هو الخلق ، فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في التصوف) .

وذكر أيضاً في صفحة ٣٦٦ ما نصه :

" قال أبو عبد الرحمن السلمي : سمعت محمد بن مخلد يقول سمعت جعفراً يقول سمعت الجنيد يقول : (المريد الصادق غني من العلماء) ، وقال أيضاً : سمعت الجنيد يقول : (إذا أراد الله بالمريد خيراً أوقعه إلى الصوفية ومنعه صحبة القراء) ، قلت : إذا صدق المريد وصح عقد صدقه مع الله ، فتح الله على قلبه ببركة الصدق وحسن المعاملة مع الله ما يغنيه عن العلوم التي هي نتائج أفكار الناس وآرائهم وعن العلوم التي هي فضلة ليست من زاد القبر " [1].

وفي الجزء الثالث صفحة ١٢٨ ما نصه : قال الشافعي رضي الله عنه : صحبت الصوفية فما انتفعت منهم إلا بكلمتين سمعتهم يقولون: الوقت سيف فإن قطعته وإلا قطعك ، ونفسك إن لم تشغلها بالحق وإلا شغلتك بالباطل. قلت: يا لهما من كلمتين، ما أنفعهما وأجمعهما وأدلهما على علو همة قائلهما ويقظته، ويكفي في هذا ثناء الشافعي على طائفة هذا قدر كلماتهم .

Marfat.com

وهذا هو الإمام الحافظ الذهبي يذكر في ترجمته للمحدثين كَثيراً من الصوفية: ننقل منهم ما جاء في (تذكرة الحفاظ) الجزء الثالث صفحة ٨٥٢ عن (ابن الأعرابي) الإمام الحافظ الزاهد شيخ الحرم أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم البصري الصوفي صاحب التصانيف وكان ثقة ثبتاً عارفاً ربانياً كبير القدر بعيد الصيت .

وكذلك في صفحة ٩٦١ : (**غندر**) وأما غندر الثالث فهو **صوفي** محدث جوال ، لقي الجنيد وطبقته وكتب الحديث وسكن مصر .

وفي صفحة ١٠٧٠ (المالينى) الحافظ العالم الزاهد أبو سعد أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن حفص الأنصاري الهروي المالينى الصوفي ، ويعرف أيضاً بطاوس الفقراء ... وجمع وحصل من المسانيد الكبار شيئاً كثيراً ، وكان ثقة متقناً صاحب حديث ومن **كبار الصوفية** .

وفي صفحة ١٠٨٨ : (**عطية بن سعيد**) الحافظ شيخ الإسلام أبو محمد الأندلسي المغربي القفصي **الصوفي** .

وفي صفحة ١٠٩٢ (**أبو نعيم**) الحافظ الكبير محدث العصر أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران المهراني **الأصبهاني الصوفي** .

وفي صفحة ١١٧٠ : (**الكتاني**) الإمام المحدث مفيد دمشق ومحدثها أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن علي التميمي الدمشقي الصوفي سمع الكثير وجمع فأوعى .

Marfat.com

وفي الجزء الرابع صفحة ١٣٥٦ : (**الشيرازي**) الإمام الحافظ الرحال **أبو يعقوب يوسف بن أحمد بن إبراهيم الصوفي** مفيد بغداد وشيخ الصوفية بالرباط الأرجواني .

وفي نهاية الجزء الرابع وهو الأخير من تذكرة الحفاظ ما نصه : ولزمت الشيخ الإمام المحدث مفيد الجماعة أبا الحسن على بن مسعود بن نفيس الموصلي وسمعت منه جملة ، وكان ديناً خيراً متصوفاً متعففاً .

وسمعت من مفيد الطلبة المحدث الإمام المتيقن اللغوي صفي الدين **محمود بن أبي بكر الأرموي ثم القرافي الصوفي** .

وسمعت من الإمام المحدث الأوحد الأكمل فخر الإسلام صدر الدين إبراهيم بن **محمد بن المؤيد بن حمويه الخراساني الجويني** شيخ الصوفية . أهـ

وقد لاحظت أن أمثال الحافظ الذهبي أيضاً له عدة مشايخ من الصوفية بل إنه ما ذكر في أحد منهم أنه " لزمه " إلا الذي وصفه منهم أنه كان " ديناً خيراً متصوفاً متعففاً " وإليك أيضاً **الحافظ بن رجب الحنبلي** في ترجمته في الذيل على طبقات الحنابلة وهو يذكر كثيراً منهم بأنه صوفي فقد جاء في الجزء الأول صفحة ٢١١ في ترجمة الإمام أبي محمد عبد الله بن علي البغدادي .

قال الحافظ الضياء المقدسي : أخبرنا أبو الفضل عبد الواحد بن سلطان ببغداد ، أخبرنا محمد المقرئ ، أجاز لهم وأنشدنا لنفسه :

Marfat.com

ترك التكلف في التصوف واجب ومن المحال تكلف الفقراء
ثم إذا امتد الظلام رأيتهم يتركعون تركع القراء
فإذا رأيت مخالفاً لفعالهم فاحكم عليه بمعظم الإغواء

وذكر أيضاً الجزء الثاني صفحة ٣٢٩ **إبراهيم بن على بن أحمد بن فضل (الواسطي) الصالحي الفقيه الزاهد العابد شيخ الإسلام بركة الشام قطب الوقت تقي الدين أبو إسحاق .**

وفي صفحة ٣٥١ علي بن مسعود بن نفيس بن عبد الله الموصلي ثم الحلبي **الصوفي المحدث .**

وفي صفحة ٣٥٣ محمد بن عبد الله بن عمر بن أبي القاسم البغدادي المقرئ المحدث الصوفي وكذلك ما ذكره أبو يعلي عن تلاميذ الإمام أحمد بن حنبل فكثيراً **ما يثني على بعضهم بأنه صوفي ،** فقد ذكر الإمام الحافظ القاضي أبو الحسن بن أبي يعلي في طبقات الحنابلة في الجزء الأول صفحة ٣٦ : (أحمد بن الحسن بن عبد الجبار بن راشد ، أبو عبد الله الصوفي سمع علي بن الجعد وأبي نصر التمار ويحيى بن معين من آخرين ، نقل عن إمامنا أشياء .

وكذلك في صفحة ٤١٨ **يوسف بن الحسن بن على أبو يعقوب الرازي من مشايخ الصوفية ، كان كثير الأسفار ، وصحب ذا النون المصري وأبا تراب النخشبي وأبا سعيد الخراز وحكى عن ذي النون ، وسمع إمامنا أحمد .**

وبذلك يتجلى واضحاً للعيان من هذه النقول التي أوردناها من كتب **رجال الحديث والفقه أن كلمة صوفي تعني أن صاحبها بلغ درجة**

Marfat.com

كبيرة في التقوى ولا يمكن أن يتصور أبداً أن هؤلاء الأئمة الذين قبلت الأمة أحكامهم على صحة الأحاديث النبوية كالإمام الذهبي أن يصفوا بها رجال الحديث والفقه على أنها دخيلة على المنهج الإسلامي كما يدعي بعض الناس ذلك ويقولون لماذا نسميهم صوفية والله تعالى يقول : ﴿ هو سماكم المسلمين من قبل ﴾ فهل غاب عن هؤلاء الأجلاء فهم هذه الآية حتى يتركوا العمل بها ويطلقوها بلا تبصر وروية ؟ إنهم علموا وتيقنوا أن إطلاق هذه الكلمة لا يتعارض مع الآية الشريفة . كما سبق أن شرح الإمام الشاطبي في كتابه الاعتصام عن سبب هذه التسمية وبدء ظهورها وأنها وصفٌ لقوم التزموا بكل مبادئ الإسلام من العبادة والجهاد في سبيل الله والجهر بكلمة الحق كالعز بن عبد السلام الذي شارك في جهاد التتار وأفتى ببيع المماليك وكذلك أبو الحسن الشاذلي الذي شارك في معركة المنصورة وغيرهم كثير وذلك ليبطل القول أنهم يلتزمون بالعبادة والزهد ولا يشاركون في معترك الحياة بل هم في الحقيقة رهبان بالليل فرسان بالنهار فإطلاق لفظ الصوفية كما أطلق على الصحابة أو التابعين ولم يقتصروا على كلمة المسلمين .

وأخيراً بعد هذه الحجج الدامغة من أقوال العلماء الأجلاء الذين يعتد بشهادتهم ولا يستغني باحث عن الاستدلال بآرائهم في شتى العلوم المختلفة كالفقه والأصول والتفسير والحديث . هل يشك عاقل في نسبة التصوف والصوفية إلى أهل السنة والجماعة الذين يتمسكون بالكتاب والسنة اللهم إلا إذا كان الهوى والتعصب هو الذي يحول بينه وبين البحث العلمي الصحيح والحقيقة وأنه إذا كنا نسمع أن الصادقين

Marfat.com

من الصوفية هم كبار العلماء الذين خدموا الأمة بمؤلفاتهم في مختلف فروع علوم الدين الإسلامي الحنيف ، وإذا أردنا أن ننسب أحداً إلى السلف الصالح فلن نجد غيرهم ، فالقول بوجود خلاف بين الصوفية والسلفية غير صحيح وإنما الخلاف بين من انتسبوا إلى التصوف كذباً وافتراء وبين غيرهم ممن يدعون الانتساب إلى السلفية .

ألا فليتق الله كل مسلم باحث عن الحقيقة والأحرى به أن يراجع تلك النصوص التي أوردتها من الكتب المختلفة ليقف على حقيقة أمر هؤلاء الرجال ولا يسارع إلى الحكم عليهم إلا بعد التثبت والتمحيص فالحكمة ضالة المؤمن يلتقطها أنى وجدها ولا داعي للهجوم عليهم أو التسمية التي كثر الخلاف حولها وهل هي لقب نسبة فلا مشاحة في الاصطلاح كما قال الشيخ ابن تيميه والذي يعنينا هو الجوهر والمضمون وما هو عليه هؤلاء القوم من عقائد وآراء .

ونظراً لأن الموضوع يشتمل على أدلة كثيرة فسأكتفي بهذا القدر لضيق المجال وأدعو الله تعالى أن يرزقنا الصدق في الأقوال والأفعال وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه ، وأن يجنبنا الزلل ويحفظنا من الزيغ والضلال إنه سميع مجيب .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

Marfat.com

ثانياً : رأي العلامة الشيخ / محمد الصديق الغماري الحَسَني [1]
التصوف الركن الثالث في حقائق الإسلام (مقام الإحسان)

وقال العلامة الشيخ محمد بن الصديق الغماري التصوف الركن الثالث في حقائق دين الإسلام (الإسلام والإيمان والإحسان) والدليل على وجوب سلوك التزكية والتصوف أنه واجب محتم وأنه لا يكمل دين المرء إلا به وبيان ذلك من وجوه :-

(الوجه الأول) : أنه (مقام الإحسان) الذي هو (أحد أركان الدين الثلاثة) المبينة في حديث جبريل الطويل ولا شك أن الدين يجب اتباعه بجميع أركانه الإيمان والإسلام والإحسان .

وجاء في إحدى فتاوى والدي رضي الله عنه في هذا الموضوع ما نصه : وأما أول من أسس الطريقة وهل ثَبَتَ تأسيسها بوحي؟ فلتعلم أن الطريقة أسسها الوحي السماوي في جملة ما أسس من الدين المحمدي إذ هي بلا شك مقام الإحسان **الذي هو أحد أركان الدين الثلاثة التي جعلها النبي ﷺ وآله - بعد مابينها واحداً واحداً - ديناً فقال " هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم "** [2]، فغاية ما تدعو إليه الطريقة وتشير إليه إنما هو مقام الإحسان بعد تصحيح الإسلام والإيمان ليحرز الداخل فيها والمدعو إليها مقامات الدين الثلاثة

---

(١) هو شيخ الجماعة بالمغرب العارف بالله تعالى السيد محمد بن الصديق الغماري الحسني كان مجمعاً للفضائل عقد سوقاً رائجة للعلم والتصوف بالمغرب توفي سنة ١٣٥٤ وصنف في أخباره الأفاضل منهم ولده السيد أحمد في «التصور والتصديق في أخبار الشيخ مسيد محمد بن الصديق» وهو مطبوع - المرجع (حُسْنُ التلطف في بيان وجوب سلوك التصوف) .

(٢) هذا عجز حديث سؤال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والإيمان والإحسان وهو حديث صحيح اتفق الستة على إخراجه .

Marfat.com

الضامنة لمحرزها والقائم بها السعادة الأبدية في الدنيا والآخرة ، والضامنة أيضاً لمحرزها كمال الدين فإنه كما في الحديث عبارة عن الأركان الثلاثة فمن أخل (بمقام الإحسان) الذي هو الطريقة فدينه ناقص بلا شك لتركه ركناً من أركانه ، ولهذا نص المحققون على وجوب الدخول في الطريقة وسلوك طريق التصوف وجوباً عينياً ، واستدلوا على الوجوب بما هو ظاهر عقلاً ونقلاً ولسنا الآن بصدد بيان ذلك بالتفصيل .

وقد بين القرآن العظيم من أحوال التصوف والطريقة ما فيه الكفاية فتكلم على المراقبة [١] والمحاسبة [٢] والتوبة [٣] والإنابة [٤] والذكر [٥] والفكر [٦] والمحبة [٧] والتوكل [٨] والرضى [٩] والتسليم [١٠] والزهد [١١] والصبر [١٢] والإيثار [١٣] والصدق [١٤] والمجاهدة [١٥] ومخالفة الهوى والنفس [١٦] ، وتكلم على النفس اللوامة والأمارة والمطمئنة [١٧] وعلى الأولياء والصالحين والصديقين والمؤيدين [١٨] وغير هذا مما يتكلم فيه أهل التصوف والطريقة رضي الله عنهم فاعرف وتأمل . أهـ وهو نفيس جداً .

(**الوجه الثاني**) : أن التصوف هو العلم الذي تكفل بالبحث عن علل النفوس وأدوائها وبيان علاجها ودوائها لتصل إلى مرتبة الكمال والفلاح وتدخل في ضمن قوله تعالى ﴿ **قد أفلح من زكاها** ﴾ (١) .

ولاشك أنَّ علاج النفس من أمراضها وأدرانها أمر يوجبه الشرع القويم ويستحسنه العقل السليم ، ولولا ذلك لما كان هناك فرق بين الإنسان والحيوان .

---

(١) سورة الشمس آية / ٩ .

Marfat.com

(**الوجه الثالث**) : أنَّ التصوف عنى بتهذيب الأخلاق وتزكيتها ومخالفة هوى النفس والأخذ بعزائم الأمور والارتفاع بالنفس عن حضيض الشهوات إلى حيث تستمتع بما تورثه الطاعة من لذة روحية تصغر بجانبها كل لذة مهما عظم قدرها .

(**الوجه الرابع**) : أنَّ التصوف هو خلق الصحابة والتابعين والسلف الصالح الذين أمرنا بالاقتداء بهم والاهتداء بهديهم .

وقد بين ذلك والدي رضي الله عنه في فتواه التي نقلنا منها آنفاً فقال عقب كلامه السابق ما نصه: وأما قولك هل أسست الطريقة بالوحي؟.. الخ فجوابه يعلم مما قبله فإنها إذا كانت من الدين بل هي أشرف أركانه كانت بوحي كما قلنا وكان الصحابة بالحالة التي بلغتنا عنهم تواتراً من المسارعة إلى امتثال أمر الله، كانوا بالضرورة أول داخل فيها وعامل بمقتضاها وذائق لأسرارها وثمراتها ولهذا كانوا على غاية ما يكون من الزهد في الدنيا والمجاهدة بأنفسهم ومحبة الله ورسوله والدار الآخرة والصبر والإيثار والرضا والتسليم وغير ذلك من الأخلاق التي يحبها الله ورسوله وتوصل إلى قربهما وهي المعبر عنها بالتصوف والطريقة .

وكما كانوا رضي الله عنهم على هذه الحالة الشريفة كان أتباعهم أيضاً عليها وإن كانوا دونهم فيها وكذلك كان أتباع الأتباع وهلم جرا إلى أن ظهرت البدع وتأخرت الأعمال وتنافس الناس في الدنيا وحييت النفوس بعد موتها فتأخرت لذلك أنوار القلوب ووقع ما وقع في الدين وكادت الحقائق تَقلُّ وكان ابتداء ذلك في أواخر المائة الأولى من الهجرة ولم يزل ذلكَ يزيد سنة بعد سنة إلى أن وصل ذلك

Marfat.com

إلى حالة تخوف منها السلف الصالح على الدين فانتدب عند ذلك العلماء لحفظ هذا الدين الشريف فقامت طائفة منهم بحفظ (مقام الإسلام) وضبط فروعه وقواعده وقامت أخرى بحفظ (مقام الإيمان) وضبط أصوله وقواعده على ما كان عند سلفهم الصالح وقامت أخرى بحفظ (مقام الإحسان) وضبط أعماله وأحواله فكان من الطائفة الأولى الأئمة الأربعة وأتباعهم رضي الله عنهم (وهم الفقهاء) فهم المهتمون بأصول أركان الإسلام الخمسة، الصلاة والزكاة والصيام والحج بعد الشهادتين .

وكان من الطائفة الثانية الأشعري وأشياخه وأصحابه (وهم علماء الكلام أو التوحيد) .

وكان من الثالثة الجنيد وأشياخه وأصحابه (وهم الصوفية الكرام) .

فعلى هذا ليس الجنيد هو المؤسس للطريقة لما ذكرناه من أنها بوحي إلهي أي (في الكتاب ثم السنة وعمل الرسول والصحابة هو التطبيق الحقيقي لوحي الله العظيم) وإنما نسبت إلي الجنيد وغيره من الصوفية لتصديهم لحفظ قواعدها وأصولها ودعائهم للعمل بذلك عندما ظهر التأخر عنها ولهذا السبب نفسه نسبت العقائد للأشعري والفقه للأئمة الأربعة مع أن الجميع بوحي من الله تعالى أ هـ .

وهو تحقيق بالغ يعلم منه أن ما يسمى الآن تصوفاً وطريقة لم يتجاوز ما كان عليه الصحابة والتابعون من الأخلاق الفاضلة والصفات الجميلة التي حض الله ورسوله على التخلق بها ومدح أصحابها في غير آية وحديث .

Marfat.com

(**الوجه الخامس**) : أنَّ في سلوك الطريق صحبة المشايخ الكمل والاقتداء بهم والاهتداء بهديهم وقد أمر الله بذلك في قوله تعالى : ﴿ **واتبع سبيل من أناب إلي** ﴾ [1] . قال الإمام زروق : والإنابة لا تكون إلا بعلم واضح وعمل صحيح وحال ثابت لا ينقضه كتاب ولا سنة .

(**الوجه السادس**) : أنَّ سلوك الطريق ينور بصيرة الشخص ويسمو بهمته حتى لا يبقي له تعلق إلا بالله ولا يكون له اعتماد إلا عليه فيصير مصون السر عن الالتفات إلى الخلق مرفوع الهمة عن تأميلهم اكتفاء بالحق متحققاً بالحقيقة في جميع الأحوال متوسماً بالشريعة في الأقوال والأفعال وهذا أعلى ما يطلب من المؤمن وإليه أشار عليه الصلاة والسلام بقوله لابن عباس : " إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله [2] وبايع (ثلاثة) من الصحابة منهم ثوبان مولاه والصديق صاحبه على أن لا يسألوا الناس شيئاً وذلك لرفع الهمة عن الخلق والاكتفاء بالالتجاء إلى الحق .

(**الوجه السابع**) : أنَّ في سلوك الطريق بصحبة شيخ مرشد عارف خروجاً من رعونات النفس وحماية للمريد من كل ما يمنعه من الوصول إلى الله تعالى من أنواع الجهل والغرور ودواعي الهوى الموقعة في ظلمة القلب وإطفاء النور .

---

(١) سورة لقمان الآية / ١٤ .

(٢) هو بعض حديث طويل أخرجه بتمامه أحمد في المسند (رقم ٢٦٦٩ تحقيق شاكر) والترمذي (رقم ٢٦٣٥) وقال حديث حسن صحيح، والحاكم في المستدرك (٣/ ٥٤١) ، وأبو نعيم في الحلية (١٠/ ٣١٤) والقضاعي في مسند الشهاب (رقم ٧٤٥) وغيرهم . وهو الحديث التاسع عشر من الأربعين النووية التي عليها مدار الإسلام .

Marfat.com

ولهـذا قـال ابن عطاء الله في لطائف المنن : شـيـخك هـو الذي أخرجك من سجن الهوى ودخل بك على المولى ، شيخك هو الذي مازال يجلو مرآة قلبك حتى تتجلى فيه أنوار ربك ونهض بك إلى الله فنهضت إليه وسايرك حتى وصلت إليه ولا زال محاذياً لك حتى ألقاك بين يديه فَزَج بك في نور الحضرة وقال : ها أنت وربك . أ هـ

وقال أيضاً : إنما يكون الاقتداء بولي دلك الله عليه وأطلعك على ما أودعه من الخصوصية لديه فطوى عنك شهود بشريته في وجود خصوصيته فألقيت إليه القياد فسلك بك سبيل الرشاد ، يعرفك برعونة نفسك ، ويدلك على الجمع على الله ويعلمك الفرار عما سوى الله ، ويسايرك في طريقك حتى تصل إلى الله يوقفك إلى إساءة نفسك ويعرفك بإحسان الله إليك فيفيدك معرفة إساءة نفسك والهرب منها وعدم الركون إليها ، ويفيدك العلم بإحسان الله إليك والإقبال عليه القيام بالشكر إليه والدوام على مر الساعات بين يديه قال : فإن قلت : فأين من هذا وصفه ؟ لقد دللتني على أغرب من عنقاء مغرب !

فاعلم أنه لا يعوزك وجدان الدالين وإنما يعوزك وجدان الصدق في طلبهم جُدْ صدقاً تَجِدْ مرشداً .

وتجد ذلك في آيتين من كتاب الله تعالى ، قال الله سبحانه : ﴿ **أمن يجيب المضطر إذا دعاه** ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ **فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم** ﴾ [2] . فلو اضطررت إلى من يوصلك إلى الله اضطرار الظمآن إلى الماء والخائف إلى الأمن لوجدت ذلك أقرب إليك من

---

(١) سورة النمل آية / ٦٤ .
(٢) سورة محمد آية / ٢٢ .

Marfat.com

وجـود طلبك ولو اضطررت إلى الله اضطرار الأم لولدها إذا فـقـدته لوجدت الحق منك قريبا ولك مجيبا ولوجدت الوصول غيرِ متعذر عليك ولتوجه الحق بتيسير ذلك عليك . أهـ .

(**الوجـه الثـامن**) : أنَّ في سلوك الطريق الإكـثـار من ذكـر الله والاستعانة بصحبة الشيخ على ذلك ولا شك أن الذكر يصفي القلوب ويدعـو إلى اطمـئنانهـا كـمـا قال تعـالى : ﴿ **ألا بذكـر اللـه تطمـئـن القلوب** ﴾ [1] فإن الله تعالى لم يقيده بحد ولا شرط ولا نهاية حيث قال تعالى: ﴿ **يا أيها الـذين آمنوا اذكروا الله ذكـراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلا** ﴾ [2].

فلهـذه الوجوه التي ذكـرناها وغيـرها كـان سلوك طريق التـصوف واجباً والانخراط في سلك أهله أمراً لازماً .

ونحن لا ننكر أنه دخل في الطريق دخلاء أدعياء وجهلاء أغبياء اتخذوا الطريق سلماً لتحصيل أغراضهم وشهوتهم وابتدعوا فيه بدعاً ما أنزل الله بها من سلطان وزعموا أنهم أهل الحقيقة يجوز لهم ما يكون محرماً في الشريعة وكذبوا فإن الشريعة والحقيقة صنوان وما خالفت الشريعة الحقيقة قط إلا في نظر جاهل فمثل هؤلاء ليسوا من الصوفية في شئ وأول من يبرأ منهم الصوفية .

ومن الظلم البين أن يعترض بعض الناس بفعل هؤلاء الجهلة ويجعله حجة على التصوف والصوفية .

فما التصوف إلا اتباع الكتاب والسنة .

---

(١) سـورة الرعـد آية / ٢٨ .
(٢) سـورة الأحزاب آية / ٤١ .

Marfat.com

وما الصوفية إلا قوم جاهدوا أنفسهم في الله فهداهم الله ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين** ﴾ (١) .

" سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين " .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه وأصفياء الله أجمعين .

والله ولي النعمـــة والتوفيـــق ،،،

---

(١) سورة العنكبوت آية / ٦٩ .

صححه وكتب التعليقات محمود سعيد ممدوح غفر الله له .

Marfat.com

المـــراجـــــع

أولاً : ـ القـــرآن الكـريـم .

ـ الصححاح والسنن .

ثانياً : المصادر العلمية :-

١ ـ البرهان المؤيد ـ للإمام السيد أحمد الرفاعي .

٢ ـ الرسالة ـ للإمام عبد الكريم القشيري .

٣ ـ صفوة الصفوة لابن الجوزي .

٤ ـ إحياء علوم الدين ـ لحجة الإسلام الغزالي .

٥ ـ قوت القلوب ـ لأبي طالب المكي .

٦ ـ رعاية حقوق الله ـ للحارث المحاسبي .

٧ ـ حلية الأولياء ـ للإمام أبو نعيم .

٨ ـ الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ـ الشيخ عبد الوهاب الشعراني.

٩ ـ تذكرة الحفاظ ـ للحافظ الذهبي .

١٠ ـ تاريخ الإسلام - للحافظ الذهبي .

١١ ـ التعرف على مذهب أهل التصوف ـ للإمام الكلاباذي .

١٢ ـ تمييز الصحابة ـ للإمام ابن حجر العسقلاني .

١٣ ـ تهذيب التهذيب ـ للإمام ابن حجر العسقلاني .

١٤ ـ تهذيب تاريخ دمشق .

Marfat.com

١٥ ـ معجم البلدان • لياقوت الحموى .
١٦ ـ البداية والنهاية ـ لابن كثير .
١٧ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان .
١٨ ـ المجلد العاشر والمجلد الحادي عشر ـ للشيخ ابن تيمية .
١٩ ـ رسالة الناصر معروف في الذب عن التصوف ـ الشيخ أحمد بن مصطفى عليوه المستغانمي .
٢٠ ـ مدارج السالكين على منازل السائرين ـ لابن قيم الجوزية .
٢١ ـ موقف أئمة الحركة السلفية من التصوف والصوفية ـ لعبد الحفيظ بن ملك عبد الحق المكي .
٢٢ ـ أصول الوصول ـ للشيخ محمد زكي إبراهيم .
٢٣ ـ أصول التصوف ـ للشيخ الدكتور / عبد اللطيف فرفور.
٢٤ ـ ما هو التصوف ـ للشيخ أمين علاء الدين النقشبندي .
٢٥ ـ حقائق التصوف ـ للشيخ عبد القادر عيسى طبعة الحلبي .
٢٦ ـ ترجمة كتاب (عمدة السالك لابن النقيب ـ للشيخ حم كيلر) طبعة الإمارات
٢٧ ـ حسن التلطف في بيان وجوب سلوك التصوف - للعلامة محمد بن الصديق الغماري الحسني .
٢٨ ـ المكتوبات ـ للإمام السرهندي الفاروقي النقشبندي .
٢٩ ـ أبو يزيد البسطامي ـ للشيخ الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الشريف الأسبق .

Marfat.com

٣٠ ـ الكـواكـب الدُريـــة .

٣١ ـ الفتح الرباني ـ للإمام الشيخ عبد القادر الجيلاني .

٣٢ ـ البطولة والتـضـحيـة والفـداء ـ دراسـة تاريخيـة ـ للأسـتـاذ أسـعـد الخطيب ـ طبعـــة دمشـق .

ثالثاً : رسائل الفتوى ـ لعلماء الإسلام في الأمة في الديار الإسلامية .

رابعاً : بحث للدكتور محمد سليمان فرج .

خامساً : بحث للعلاّمة الشيخ محمد الصديق الغماري .

والله ولـي النعمـــة والتـــوفيــق ،،،

Marfat.com

الفهـــرس

الموضـــوع	رقم الصفحة
المقـــدمـــة	٥
لمحة عن التصوف	٧
التصوف (تعريف التصوف)	٢١
التصوف (اشتقاق التصوف)	٢١
من هـو الصـــوفي ؟	٢٢
مصدر التصوف الإسلامي	٢٣
عـقـيـدة أهل التـصـوف	٢٦
من هم الأشـــاعـــرة؟	٣٤
أقوال بعض كبار العلماء في التصوف والصوفية	٣٨
رأي الصوفية في الاتحاد والحلول	٤١
الشيخ الصوفي وشروط المشيخة	٤٣
موقف ورأي الأئمة الأربعة في التصوف والصوفية	٥٠
رأي الإمام الحسن البصري	٥٢
رأي الإمـام مـالك	٥٣
موقف الإمام أبي حنيفة، الإمام الشافعي، الإمام أحمد بن حنبل	٥٦
المزيد من شهادات الأئمة وأكابر العلماء والحفاظ من السلف وآرائهم حول التصوف	٦٠
رأي ابن تيمية وتلميذه ابن القيم	٦٨
رأي علماء الإسلام المعاصرين وفتاواهم في التصوف والصوفية	٧١
رد دار الإفتاء المصرية	٧٣

Marfat.com

تابـع/الفهـــرس

الموضـــــوع	رقم الصفحة
رد المفتي العام للجمهورية العربية السورية	٧٦
رد وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات العربية المتحدة	٨٦
رد القيادة العامة للقوات المسلحة الأردنية (مديرية الإفتاء)	٩٢
رد مفتى الجمهورية اللبنانية	٩٦
رد جمهورية القمر الإتحادية (دار الإفتاء)	١٠٦
الصوفية والعلم والعمل والجهاد في سبيل الله (رهبان الليل وفرسان النهار)	١١١
الإمام حسن البصري	١١٣
نماذج من الصوفية المجاهدين في القرن الثالث	١١٨
دور الصوفية في الحروب الصليبية وفي حروب التتار	١٢١
جريدة «الأنباء» الكويتية تسأل والرفاعي يجيب عن «شبهات حول التصوف»	١٢٧
عناصـــر الرد	١٢٨
خلاصة الرد	١٢٩
تبني المؤلف للمدرسة الصوفية	١٣١
تعدد الطرق الصوفية	١٣٤
عقيدة وحدة الوجود والقول بالحقيقة المحمدية والفرق بين التصوف الشرعي والتصوف الفلسفي	١٣٧
ادعاءالولاية وعلم الغيب والتعلق بالمشايخ	١٣٩
مرتبـــة اليقيـــن	١٤١
أقوال الحلاج وابن عربي ـ ورأي المؤلف	١٤٢
رأي المؤلف في الخلوة والزهد والجهاد	١٤٤

Marfat.com

تابـع / الفهـــرس

الموضـــــوع	رقـم الصفحة
تعظيم القبور والتعلق بالأولياء	١٤٧
الفكر الصوفي بين الشريعة والحقيقة	١٥٤
مسألة الكشف	١٥٧
نشأة الطريقة الرفاعية	١٥٩
الخـــاتمـــة	١٦٤
أولا: بحث الشيخ الدكتور/ محمد سليمان فرج (موقف السلف الصالح من الصوفية)	١٦٥
افتراء وكذب	١٦٩
كلمة الصوفية وسببها	١٧٢
شهادة علماء الإسلام	١٧٣
أثر الصوفية في المجتمع	١٧٨
أئمة الحركة السلفية	١٧٩
رأي الشيخ محمد بن عبد الوهاب	١٨١
رأي الإمـام الذهبي	١٨٣
ثانياً: بحث العلامة الشيخ/ محمد الصديق الغماري الحسني (التصوف ومقام الإحسان)	١٨٨
المراجـــع	١٩٦

والله ولي النعمة والتوفيق ،،،

وتمت بحمد الله تعالى

(المـــؤلـف)

Marfat.com

المؤلف في سطور

- مولود في الكويت سنة ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م .
- مؤسس معهد الايمان الشرعي في الكويت ١٩٧٣م.
- عضو المكتب التنفيذي ونائب الرئيس لمؤتمر العالم الاسلامي في باكستان المؤسس سنة ١٩٢٠ في مكة المكرمة ورئيس لجنة الأقليات الاسلامية في المؤتمر .
- عضو المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية في القاهرة .
- عضو مجلس الأمة الكويتي المنتخب للفترة البرلمانية من ١٩٦٣ - ١٩٧٤م .
- وزير البريد والبرق والهاتف من ١٩٦٣ - ١٩٦٤ .
- وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء
ورئيس المجلس البلدي من ٦٤ - ١٩٧٠ .

عضو مشارك ومؤازر في معظم المؤتمرات والندوات التي عقدت وتعقدِ على مستوى العالمين العربي والاسلامي .

- ينتهي نسبه إلى الامام الحسين والامام علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وعلى أهل بيتهما السلام

الناشر : الفيصل للدعاية والاعلان

ت : ٢٦٣٥١٢٠

Marfat.com

المؤلف في سطور

- مولود في الكويت سنة ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م .
- مؤسس معهد الايمان الشرعي في الكويت ١٩٧٣م.
- عضو المكتب التنفيذي ونائب الرئيس لمؤتمر العالم الاسلامي في باكستان المؤسس سنة ١٩٢٠ في مكة المكرمة ورئيس لجنة الأقليات الاسلامية في المؤتمر .
- عضو المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية في القاهرة .
- عضو مجلس الأمة الكويتي المنتخب للفترة البرلمانية من ١٩٦٣ - ١٩٧٤م .
- وزير البريد والبرق والهاتف من ١٩٦٣ - ١٩٦٤ .
- وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء
ورئيس المجلس البلدي من ٦٤ - ١٩٧٠ .

عضو مشارك ومؤازر في معظم المؤتمرات والندوات التي عقدت وتعقدِ على مستوى العالمين العربي والاسلامي .

- ينتهي نسبه إلى الامام الحسين والامام علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وعلى أهل بيتهما السلام

الناشر : الفيصل للدعاية والاعلان

ت : ٢٦٣٥١٢٠

Marfat.com